زمزم

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

إهداءً
يوزع مجاناً
ولايباع

إصدار دعوي

www.zamzam-makkah.com

ح المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بجنوب مكة، ١٤٣٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بجنوب مكة

زمزم / المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد

وتوعية الجاليات بجنوب مكة - مكة المكرمة، ١٤٣٨ هـ

٥٦ ص ؛ ١٧ X ٢٤ سم

ردمك: ٠-٥-٩٠٩٥٧-٦٠٣-٩٧٨

١-العقيدة الإسلامية أ .العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٨/٨٧٩١

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد
وتوعية الجاليات بجنوب مكة

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٨٧٩١

ردمك: ٠-٥-٩٠٩٥٧-٦٠٣-٩٧٨

للقادمين لمكة المكرمة

نسعد ونرحب بزيارتكم لنا في المكتب التعاوني للدعوة والارشاد

وتوعية الجاليات بجنوب مكة على مدار العام

للتواصل والتنسيق :

٥٤٠٥٣٧١ ١٢ ٠٠٩٦٦ ٥٥٥٢٦٤٦٠٤ ٠٠٩٦٦ - ٥٣٤١١١٢٧٢ ٠٠٩٦٦

ملحوظة :

لدينا إهداء علمي للدعاة والأئمة والخطباء .

أهلاً وسهلاً بكم

في موقعنا الإلكتروني: www.zamzam-makkah.com

تجدون فيه الإصدار بعدة لغات.

نسعد باستقبال آرائكم ومشاعركم ومقترحاتكم

على البريد الإلكتروني: zamzam.mk@Gmail.com

أو على الواتس آب ٥٣٤١١١٢٥٢ ٠٠٩٦٦

نفع الله بكم وتقبل منا ومنكم.

HADIYAH

HAJI & MU'TAMER'S GIFT

Charity Association Under supervision of the Ministry of Labor and Social Development authorization (499)

هـــديـــة

هدية الحاج و المعتمر

جمعية خيرية مسجلة بوزارة العمل والتنمية الاجتماعية

ترخيص (٤٩٩)

لماذا هدية ؟

- جمعية خيرية تسعى لرضاه سبحانه وتعالى بخدمة ضيوف بيته الحرام.
- جمعية بإشراف إمام الحرم ونخبة من أصحاب التخصصات المختلفة.
- جمعية خيرية مسجلة رسمياً لدى وزارة العمل والتنمية الاجتماعية.
- جمعية متخصصة في خدمة الحجاج والمعتمرين والزوار.
- جمعية تخدم ٩ مليون مستفيد كل عام.
- جمعية تقدم ٢٧ مليون خدمة كل عام.
- جمعية تستحدث برامج ومنتجات إبداعية تسهل أداء المناسك.
- جمعية ذات موثوقية عالية لدى الجهات الحكومية ذات العلاقة.
- جمعية تقدم خدماتها للمستفيدين في أكثر من ٤٦ موقع خدمة.
- جمعية تحول المشاركات المالية إلى خدمات متميزة احتسابا.

حسابات الجمعية

البنك السعودي الفرنسي Banque Saudi Fransi	SA 56 550 0000 0098 207 500 135
مصرف الراجحي Al Rajhi Bank	SA 44 80 000 424 6080 10 66 6665
بنك البلاد BANK ALBILAD	SA 681 5000 999 30000 176 0004
مصرف الإنماء alinma bank	SA 260 500 006 820 161 785 1000

الخط المباشر | مكة المكرمة

+966 500 399 888

الخط المباشر | المدينة المنورة

+966 530 13 7777

+966 12 540 11 11

+966 2 540 22 22

www.hajigift.org

info@hajigift.com

شركة مكة للإنشاء والتعمير، المركز التجاري، الدور الرابع - مقابل الخطوط السعودية مكتب جبل عمر، الدور الأرضي، مقابل البنك الأهلي

مكتب وقف الملك عبدالعزيز، مركز أبراج البيت التجاري، الدور الأرضي مكتب المدينة المنورة، فندق ميلينوم العقيق، الجهة الشمالية من ساحات المسجد النبوي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد :

فيطيب لنا في مكة المكرمة - مهبط الوحي ومهد الرسالة- ونحن نستقبلكم أيها القراءالكرام بجوار بيت الله الحرام؛ أن نعبر لكم عن سعادتنا الغامرة، وفرحتنا الكبيرة بقدومكم إلى هذه البقاع الطاهرة، والديار المقدسة، نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وأن يعيدكم إلى بلادكم سالمين غانمين. كما يطيب لنا أن نقدم لكم (إصدارزمزم الدعوي) في إشراقة ندية، وحلة بهية، والذي يحوي بين صفحاته؛ مواضيع مفيدة، ومقالات نافعة، تهم كل مسلم ومسلمة، مستمدة من كتاب الله -عز وجل-، وسنة رسوله الكريم ﷺ، وأقوال السلف الصالح -رضوان الله عليهم أجمعين-، راجين المولى -تبارك وتعالى- أن يحوز إعجابكم، وينال رضاكم، كما نسأله – سبحانه وتعالى- أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لعباده المؤمنين، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ذكرى
المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بجنوب مكة
غـذاء الـروح
Spiritual Nourishment
هدية
HADIYAH
هدية الحاج و المعتمر
HAJI & MU'TAMER'S GIFT

الفهرس

المقدمة ٤

الشهادتان ٦

كلمة التوحيد ٨

ضوابط العبادة الصحيحة ١٢

الاعتصام بالكتاب والسنة ١٧

الذنب الأعظم ٢٢

خطورة السحر ٢٦

محبة النبي ﷺ ٣٠

الصلاة عماد الدين ٣٥

الطمأنينة في الصلاة ٣٩

الدعاء ٤٢

السير إلى الله ٤٦

العمل الصالح ٤٩

نجوم السماء ٥١

حرمة المسلم ٥٤

أخوة الإسلام ٥٧

المرأة في الإسلام ٦٠

منهج الإسلام في تربية الأولاد ٦٢

الرزق والأسباب الجالبة له ٨٦

الابتلاء ٧١

علاج الهموم والغموم ٧٣

خطر الفتن ٧٧

المعاصي وعقوباتها ٨٣

وتوبوا إلى الله ٨٦

الشهادتان

(شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)، هما مفتاح الإسلام ولا يمكن الدخول إلى الإسلام إلا بهما، ولهذا أمر النبي ﷺ معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين بعثه إلى اليمن أن يكون أول ما يدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

فأما الكلمة الأولى: «شهادة أن لا إله إلا الله» فأن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود حقٌ إلا الله- عز وجل-؛كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ لقمان: ٣٠

وهي نفي وإثبات، لا إله نفي، وإلا الله إثبات، لا إله تنفي جميع المعبودات وجميع الآلهة بغير حق، وإلا الله تثبت العبادة بالحق لله وحده - سبحانه وتعالى-

إذاً: فمعنى لا إله إلا الله، أي: لا معبود حقٌ إلا الله عز وجل، فأما المعبودات سواه من الرسل، أو الملائكة، أو الأولياء، أو الأحجار، أو الأشجار، أو الشمس، أو القمر، أو غير ذلك فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدوها ليست حقيقة، إنما هي ألوهية باطلة، بل الألوهية الحق هي ألوهية الله عز وجل.

ومقتضى شهادة أن لا إله إلا الله

(يعني المطلوب ممن يقولها): أن تُفْرِدَ اللهَ بالعبادة فلا تعبد معه غيره؛ فإذا قلت: أشهد أن لا إله إلا الله فقد أعلنت البراءة من كل معبود سوى الله، والتزمت بعبادة الله وحده، بجميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله بالحب والخضوع، والانقياد له وحده لا شريك له، فيجب إفراد الله تعالى بها كالدعاء والخوف والمحبة، والتوكل والإنابة والتوبة والذبح والنذر والسجود، وجميع أنواع العبادة، فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئاً مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله فقد وقع في الشرك ولو نطق بـ «لا إله إلا الله»، إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص، كذلك مما تقتضيه شهادة أن لا إله إلا الله؛ فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه.

معنى شهادة أن محمداً رسول الله

معنى شهادة أن محمداً رسول الله هو القول باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله -عز وجل- إلى جميع الخلق من الجن والإنس،

كما قال الله تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٨

وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١

ومقتضى هذه الشهادة أن تُصِّدقَ رسول الله ﷺ بما أخبر، وأن تمتثل أمره بما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع.

ومقتضى هذه الشهادة أيضاً: أن تعتقد أنه ليس لرسول الله ﷺ حقٌ من الربوبية، وتصريف الكون، أو حقٌ بالعبادة، بل هو ﷺ عبدٌ لا يُعْبَدُ، ورسولٌ لا يُكذَّبُ، بلْ يُطاعُ ويُتَبَّعُ ، ولا يملك لنفسه ولا غيره شيئاً من النفع والضر إلا ما شاء الله، كما قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ ﴾ الأنعام: ٥٠

فهو عبدٌ مأمور يتبع ما أمره الله به،

وقال الله تعالى:

﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ الجن: ٢١ - ٢٢

وقال الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٨

فهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبهذا المعنى نعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله ﷺ ولا من دونه من المخلوقين، وأن العبادة ليست إلا لله تعالى وحده، وأن رسول الله ﷺ حقه أن تُنْزِلَهُ المَنْزِلة التي أنزله الله تعالى، وهي أنه عبدُ الله ورسولُه.

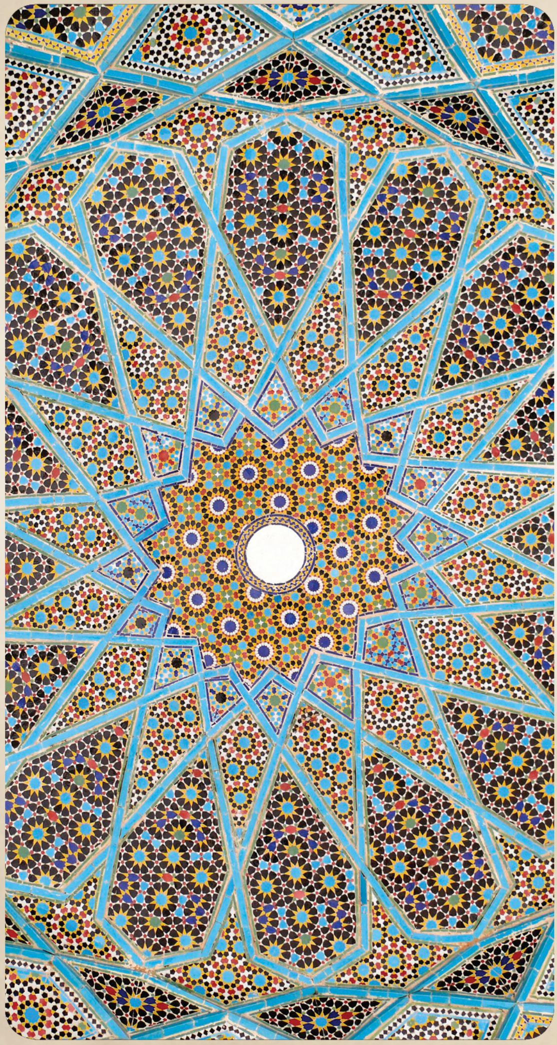

كلمة التوحيد

اعلم أخا الإسلام أرشدك الله لطاعته ووفقك لمحبته أن خير الكلمات وأعظمها وأنفعها وأجلّها كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » ؛ فهي العروة الوثقى ، وهي كلمة التقوى ، وهي أعظم أركان الدين ، وأهم شعب الإيمان ، وهي سبيل الفوز بالجنة والنجاة من النار ، لأجلها خلق الله الخلق وأنزل الكتب وأرسل الرسل ، وهي كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة ، وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره

قال تعالى :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران ١٨

والنصوص الواردة في فضلها وأهميتها وعظم شأنها كثيرة جداً في الكتاب والسنة قال بعض العلماء: (وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون، وهي رأس الأمر كله) .

أخا الإسلام اعلم وفقك الله لطاعته : أن « لا إله إلا الله » لا تُقبل من قائلها ولا ينتفع بها إلا إذا أدى حقها وفرضها واستوفى شروطها الواردة في الكتاب والسنة, وهي شروط سبعة مهمة يجب على كل مسلم تعلمها والعمل بها، فليس المراد منها عد ألفاظها وحفظها فقط ؛ فكم من مسلم اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له اعددها لم يحسن ذلك ، وكم من حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها . فالمطلوب إذاً العلم والعمل معاً لتكون من أهل « لا إله إلا الله » صدقاً، ومن أهل كلمة التوحيد حقاً ، والتوفيق بيد الله وحده .

وقد أشار سلفنا الصالح قديماً إلى أهمية شروط « لا إله إلا الله » ووجوب الالتزام بها ، ومن ذلك :

❖ ما جاء عن الحسن البصري -رحمه الله- أنه قيل له : إن ناساً يقولون : من قال « لا إله إلا الله » دخل الجنة ؛ فقال: (من قال « لا إله إلا الله » فأدّى حقها وفرضها دخل الجنة) .

❖ وقال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته : ما أعددتَ لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة، فقال الحسن : (نِعْمَ العُدَّة، إن لـ « لا إله إلا الله » شروطاً ؛ فإياك وقذف المحصنات).

❖ وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس مفتاح الجنة « لا إله إلا الله » ؟ قال : « بلى ؛ ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فُتح لك ، وإلا لم يُفتح لك » ، يشير بالأسنان إلى شروط «لا إله إلا الله» الواجب التزامها على كل مكلف .

وشروط « لا إله إلا الله » سبعة هي :

١. العلم بمعناها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل.
٢. اليقين المنافي للشك والريب.
٣. الإخلاص المنافي للشرك والرياء .
٤. الصدق المنافي للكذب .
٥. المحبة المنافية للبغض والكره .
٦. الانقياد المنافي للترك.
٧. القبول المنافي للرد .

ثم إليك بيان كل شرط من هذه الشروط مع ذكر دليله من الكتاب والسنة :

١- العلم بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً ؛ وذلك بأن تنفي جميع أنواع العبادة عن كل من سوى الله، وتثبت ذلك لله وحده, كما في قوله تعالى

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥

أي : نعبدك وحدك ولا نعبد غيرك ، ونستعين بك ولا نستعين بغيرك . فلابد لقائل « لا إله إلا الله » من العلم بمعناها قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ محمد: ١٩

وقال تعالى :

﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الزخرف: ٨٦

قال أهل التفسير : أي إلا من شهد بـ« لا إله إلا الله » ، ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي ما شهدوا به في قلوبهم وألسنتهم. وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)).

٢-اليقين المنافي للشك والريب ؛ ومعناه أن يكون موقناً بهذه الكلمة يقيناً جازماً لا شك فيه، كما قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ الحجرات: ١٥

ومعنى ﴿ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾أي: أيقنوا ولم يشكُّوا .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : ((أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ)).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : ((مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ)).

٣- الإخلاص المنافي للشرك والرياء ؛ وذلك بتصفية العمل من جميع شوائب الشرك الظاهرة والخفية وذلك بإخلاص النية في جميع العبادات لله وحده .

قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ الزمر: ٣

وقال : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ البينة: ٥

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: ((أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)) .

٤- الصدق المنافي للكذب ؛ وذلك بأن يقول هذه الكلمة صادقاً من قلبه يواطئ قلبه لسانه ،

قال تعالى في ذم المنافقين : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ المنافقون: ١

لأنهم قالوا هذه الكلمة ولكنهم لم يكونوا صادقين فيها . وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ① أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ العنكبوت: ١ - ٣

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: ((مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ)).

٥- المحبة المنافية للبغض والكره ؛ وذلك بأن يحب قائلها الله ورسوله ودين الإسلام والمسلمين القائمين بأوامر الله الواقفين عند حدوده ، وأن يبغض من خالف « لا إله إلا الله »، وأتى بما يناقضها من شرك أو كفر أو يناقض كمالها من بدع ومعاصي ، عملاً بقوله ﷺ: ((أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ)). رواه أحمد.

ومما يدل على اشتراط المحبة في الإيمان قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ البقرة: ١٦٥

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ

لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)).

٦- الانقياد المنافي للترك ؛ فلابد لقائل « لا إله إلا الله » أن ينقاد لشرع الله، ويذعن لحكمه، ويسلم وجهه لله قال تعالى :

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ الزمر: ٥٤،

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ النساء: ١٢٥،

ومعنى (أَسْلِمُوا) و(أَسْلَمَ) في الآيتين أي : انقاد وأذعن .

٧- القبول المنافي للرد ؛ فلابد من قبول هذه الكلمة قبولاً حقاً بالقلب واللسان ، وقد قصَّ الله في القرآن الكريم علينا أنباء من قد سبق ممن أنجاهم الله لقبولهم لـ « لا إله إلا الله » ، وانتقامه وإهلاكه لمن ردها ولم يقبلها ،

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ يونس: ١٠٣

وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ الصافات: ٣٥ - ٣٦

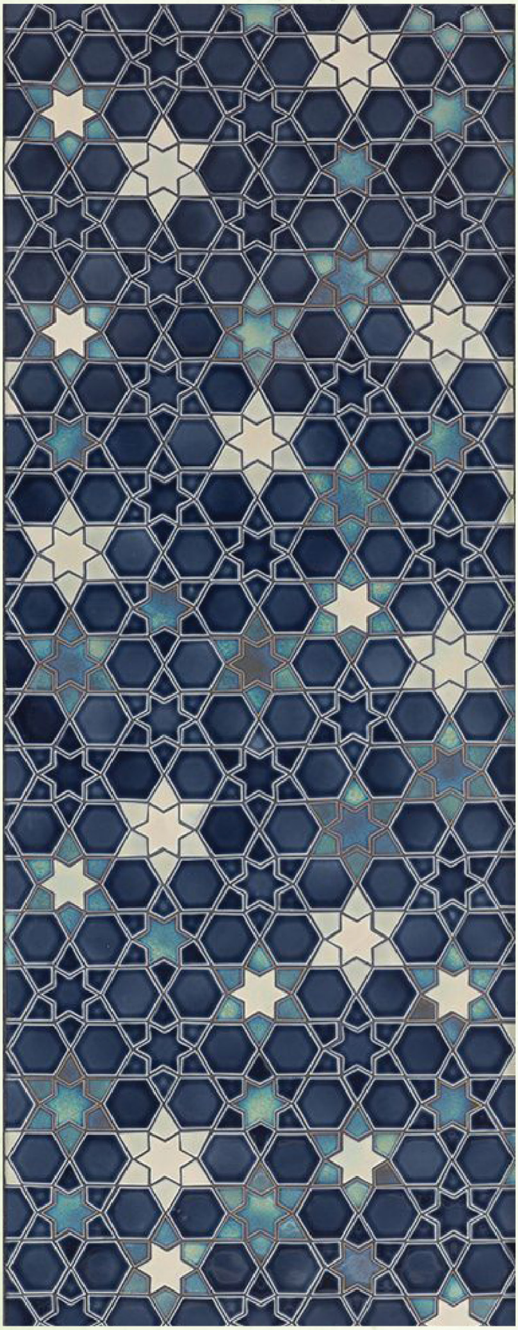

ضوابط العبادة الصحيحة

خلق الله الجن والإنس لعبادته, كما قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦،

وفي ذلك شرفهم وعزهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، لأنهم بحاجة إلى ربهم، ولا غنى لهم عنه طرفة عين، وهو غنى عنهم وعن عبادتهم كما قال تعالى:﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ الزمر: ٧ ،وقال تعالى:﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ إبراهيم: ٨

والعبادة هي: التقرب إلى الله تعالى بما شرعه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، وهي حق الله على خلقه وفائدتها تعود إليهم، فمن أَبَى أن يَعْبُدَ الله فهو مستكبر، ومن عَبَدَ الله وعَبَدَ معه غَيَره فهو مشرك، ومن عبد الله وحده بغير ما شرع فهو مبتدع، ومن عبد الله وحده بما شرع فهو المؤمن المُوحِّد. ولما كان العباد في ضرورة إلى العبادة، ولا يمكنهم أن يعرفوا بأنفسهم حقيقتها التي تُرْضِي الله سبحانه وتوافق دينه لم يكلهم إلى أنفسهم، بل أرسل إليهم الرسل، وأنزل الكتب لبيان حقيقة تلك العبادة، كما قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النحل: ٣٦ ، وقال تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٢٥ ، فمن انحرف عما بينته الرسل ونزلت به الكتب من عبادة الله، وعبَدَ الله بما يملي عليه ذوقه، وما تهواه نفسه وما زينته له شياطين الإنس والجن، فقد ضل عن سبيل الله ولم تكن عبادته في الحقيقة عبادةً لله بل هي عبادة لهواه، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ القصص: ٥٠

إن العبادة التي شرعها الله سبحانه وتعالى تنبني على أصول وأسس ثابته تتلخص فيما يلي:

أولاً: إنها توقيفية لا مجال للرأي فيها بل لابد أن يكون المُشَرِّع لها هو الله سبحانه وتعالى أو رسول الله ﷺ كما قال تعالى لنبيه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ هود: ١١٢،

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجاثية: ١٨

وقال عن نبيه ﷺ: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ الأنعام: ٥٠

ثانياً: لا بد أن تكون العبادة خالصة لله تعالى من شوائب الشرك، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ الكهف: ١١٠

فإن خالط العبادة شيء من الشرك أبطلها،

كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام: ٨٨، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الزمر: ٦٥-٦٦

ثالثاً: لا بد أن يكون القدوة في العبادة والمُبيِّن لها رسول الله ﷺ، كما قال تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الممتحنة: ٦

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ الحشر: ٧، وقال النبي ﷺ:

(مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليسَ عليه أمرُنا هذا فهو رَدٌّ) رواه مسلم، وقوله- ﷺ-: (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي). رواه البخاري ومسلم

وقوله ﷺ: (خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم). رواه مسلم، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب الاقتداء برسول الله ﷺ دون سواه.

رابعاً: بعض العبادات محدودة بمواقيت ومقادير لا يجوز تعَدِيها وتجاوزها، كالصلاة مثلاً،

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ النساء: ١٠٣ ، وكالحج، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ البقرة: ١٩٧، وكالصوم، قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ البقرة: ١٨٥، فلا تصح هذه العبادات في غير مواقيتها.

خامساً: لابد أن تكون العبادة قائمةعلى محبة الله تعالى، والذل له، وخوفه ورجائه، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ الإسراء: ٥٧، وقال تعالى عن أنبيائه ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ الأنبياء: ٩٠وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ آل عمران: ٣١ - ٣٢، فذكر سبحانه علامات محبة الله وثمراتها. أما علاماتها: فاتباع الرسول ﷺ وطاعة الله، وطاعة الرسول ﷺ .

أما ثمراتها: فنيل محبة الله سبحانه ومغفرة الذنوب، والرحمة منه سبحانه وتعالى.

سادساً: إن العبادة لا تسقط عن المكلف من بلوغه إلى وفاته، قال تعالى:

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢

وقال: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ الحجر: ٩٩

والعبادة لها أنواع كثيرة فهي:

اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

فالصلاة والزكاة والصيام والحج من أعظم أنواع العبادة، وهي أركان الإسلام، وكذلك الصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة هي من أنواع العبادة، كصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد والإحسان إلى الجار واليتيم، والمسكين, والرفق بالحيوان, والدعاء والذكر وقراءة القرآن،وأعمال القلوب؛ من حب الله ورسوله ﷺ . وخشية الله

والإنابة إليه، وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه, والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه، فالدين كله داخل في العبادة، وأعظم أنواع العبادة أداء ما فرضه الله وتجنب ما حرمه الله تعالى،

قال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل:

((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ)).رواه البخاري.

فأداء الفرائض أفضل الأعمال كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:

(أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله وصدق الرغبة فيما عند الله)، وذلك أن الله تعالى إنما افترض على عبده الفرائض ليقربهم عنده، ويوجد لهم رضوانه ورحمته، وأعظم فرائض البدن التي تقرب إليه الصلاة كما قال تعالى:

﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ العلق: ١٩

وقال النبي ﷺ : ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ)).رواه مسلم، وقال ﷺ :

((إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ)). رواه البخاري، ولكن هذه الصلاة خف ميزانها اليوم عند كثير من الناس كما قال تعالى:

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ مريم: ٥٩ - ٦٠

والعجب أن بعضهم يأتي ببعض النوافل أو كثير منها، وهو مضيع للصلاة فتراه يحج ويعتمر وهو مضيع للصلاة، ومنهم من يكثر من الصدقات والتبرعات وهو لا يؤدي الزكاة المفروضة، ومنهم من يحسن أخلاقه مع الناس وهو عاق لوالديه، قاطع لرحمه سيء الخلق مع زوجه، ولاشك أن العدل في الرعية من الفرائض الواجبة سواء كانت رعيته رعية عامة كالحاكم أو رعية خاصة كالرجل مع أهل بيته، قال ﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).رواه البخاري ومسلم

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ -وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ- الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا)).رواه مسلم.

وأعظم رعاية للأهل والأولاد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإلزامهم بأداء الصلاة،

ومنعهم من سماع الأغاني والمعازف والمزامير ومشاهدة الأفلام الخليعة والمسلسلات التي تحمل أفكاراً مسمومة أو تشغل عن طاعة الله وذكره، وبعض الآباء يجلبون هذه الآفات إلى بيوتهم، ويتركونها تفتك في أخلاق أولادهم ونسائهم.

إن عباد الله حقاً هم الذين يعمرون بيوتهم بطاعة الله، ويربون أولادهم ونساءهم على عبادة الله قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ الفرقان: ٦٤ - ٦٦، إن عباد الله هم الذين يدعون الله أن يصلح أزواجهم وذريتهم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ الفرقان: ٧٤، إن العبادة لا تنحصر في حد ضيق، ولكنها تشمل كل ما شرعه الله من الأقوال والأعمال والنيات

فهي تشمل أقوال اللسان، وحركات الجوارح، ومقاصد القلوب، بل تشكل كل حياة المسلم حتى أكله وشربه ونومه، إذا نوى بذلك التقوي على طاعة الله بل حتى معاشرته لزوجته إذا نوى بها التعفف عن الحرام. كما قال النبي ﷺ :(إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟، قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ).رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

((كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وتُعين الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عليها أو تَرْفَعُ لهُ متَاعَهُ صَدَقَةٌ، والْكَلِمةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وبكُلِّ خَطْوَةٍ تَمشِيها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وتُمِيطُ الأَذَى عنِ الطَّرِيق صَدَقَةٌ)). رواه البخاري ومسلم.

الاعتصام بالكتاب والسنة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ٱللَّهِ ﴾

آل عمران:١٠٣ قال ابن كثير -رحمه الله- ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾

قِيلَ: بِعَهدِ اللهِ، وَقِيلَ: القُرآنُ، قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ -رضي اللهُ عنهما-: تَمَسَّكُوا بِدِينِ اللهِ، وَقَالَ ابنُ مَسعُودٍ -رضي اللهُ عنه-: هُوَ الجَمَاعَةُ» .

قوله: ﴿ وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ آل عمران:١٠٣

أَمَرَهُم بِالْجَمَاعَةِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفْرِقَةِ

قال ابن كثير: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ آل عمران: ١٠٣

وقد وردت النصوص الكثيرة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف، قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾

الأنعام: ١٥٩،

روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ -رضي اللهُ عنه-: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ)).

والاعتصام بالكتاب والسنة هو التمسك بهما على فهم السلف الصالح وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة المسلمين، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥

روى أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه في سننهما مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصْحَابِي)).

قَالَ عَبدُاللهِ بنُ مَسعُودٍ -رضي اللهُ عنه-: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ العِبَادِ، فَوَجَدَ قَلبَ مُحَمَّدٍ خَيرَ قُلُوبِ العِبَادِ فَاصطَفَاهُ لِنَفسِهِ فَابتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ العِبَادِ بَعدَ قَلبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصحَابِهِ خَيرَ قُلُوبِ العِبَادِ فَجَعَلَهُم وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَن دِينِهِ). ثُمَّ قَالَ: (مَن كَانَ مِنكُم مُستَنًّا فَليَستَنَّ بِمَن مَاتَ فَإِنَّ الحَيَّ لَا تُؤمَنُ عَلَيهِ الفِتنَةُ، أُولَئِكَ أَصحَابُ مُحَمَّدٍ كَانُوا أَفضَلَ هَذِهِ الأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا وَأَعمَقَهَا عِلمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، اختَارَهُمُ اللهُ لِصُحبَةِ نَبِيِّهِ، وَلِإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعرِفُوا لَهُم فَضلَهُم وَاتَّبِعُوهُم عَلَى آثَارِهِم وَتَمَسَّكُوا بِمَا استَطَعتُم مِن أَخلَاقِهِم وَسِيَرِهِم فَإِنَّهُم كَانُوا عَلَى الهُدَى المُستَقِيمِ).

وقد وردت النصوص الكثيرة التي تحث على التمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما،

قَالَ تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف: ٣

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ الزخرف: ٤٣، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ الجاثية: ١٨

والتمسك بالقرآن والسنة عصمة للعبد من الضلالة وهداية له، روى مسلم في صحيحه والحاكم في مستدركه مِن حَدِيثِ جَابِرِ بنِ عَبدِاللهِ -رضي اللهُ عنهما-:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ)). وروى الحاكم في المستدرك مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي اللهُ عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيئَينِ لَن تَضِلُّوا بَعدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي)).

قال بعض العلماء: (فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعًا لقوله، وعمله تبعًا لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسس دينًا غير ما جاء به الرسول، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول، فمنه يتعلم وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستنير فهذا أصل أهل السنة).

وقد دلت الأحاديث أن من تمسك بما كان عليه النَّبِيَّ ﷺ ومن بعده من الخلفاء الراشدين كان من الناجين،

روى أبو داود والترمذي في سننهما مِن حَدِيثِ العِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ -رضي اللهُ عنه- قَالَ: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)).

وروى الإمام أحمد في مسنده مِن حَدِيثِ جَابِرِ ابنِ عَبدِاللهِ -رضي اللهُ عنهما-: أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ -رضي اللهُ عنه- أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِن بَعضِ أَهلِ الكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَغَضِبَ وَقَالَ: ((أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي)). ومعنى مُتَهَوِّكُونَ: التَّهَوُّكُ هو الوقوعُ في الأمر بغير رَوِيَّة.

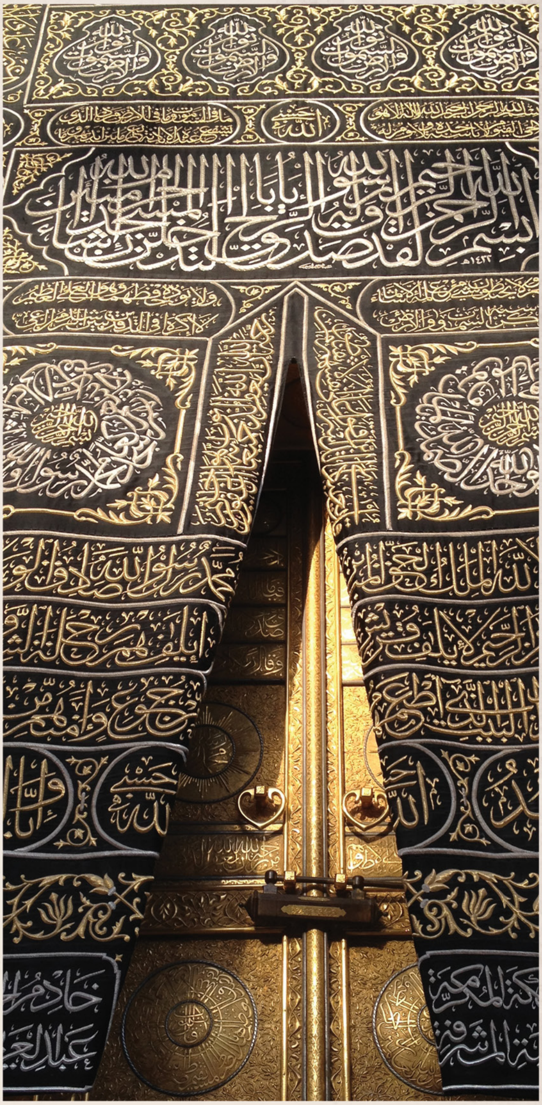

ومن المعلوم أن نبي الله عيسى -عليه السلام- عندما ينزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد، وإنما يحكم بشريعة النبي ﷺ، روى البخاري ومسلم مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ -رضي اللهُ عنه: ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»)).

قال النووي: قوله: ((وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ))، فالصواب في معناه أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل، هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء.

قال الإمام مالك: (لَا يَصلُحُ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا، وَمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ ﷺ). روى الطبراني في معجمه الكبير مِن حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ -رضي اللهُ عنه-: (أَنَّهُ مَرَّ عَلَى أُنَاسٍ فِي المَسجِدِ يَنتَظِرُونَ الصَّلَاةَ وَهُم حِلَقٌ، وَفِي كُلِّ حَلقَةٍ رَجُلٌ وَفِي أَيدِيهِم حَصَى، وَرَجُلٌ يَقُولُ لَهُم: سَبِّحُوا مِئَةً فَيُسَبِّحُونَ، كَبِّرُوا مِئَةً فَيُكَبِّرُونَ، هَلِّلُوا مِئَةً فَيُهَلِّلُونَ، فَقَالَ لَهُم: عُدُّوا سَيِّئَاتِكُم، فَأَنَا ضَامِنٌ أَن لَا يَضِيعَ مِن حَسَنَاتِكُم شَيءٌ، وَيحَكُم يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا أَسرَعَ هَلَكَتَكُم! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُم ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَم تَبلَ وَآنِيَتُهُ لَم تُكسَرْ، وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ إِنَّكُم لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهدَى مِن مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوَ مُفتَتِحُو بَابَ ضَلَالَةٍ؟

قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبدِ الرَّحمَنِ، مَا أَرَدنَا إِلَّا الخَيرَ! قَالَ: وَكَم مِن مُرِيدٍ لِلخَيرِ لَم يُصِبْهُ؟!).

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ آل عمران: ١٠٦

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ -رضي اللهُ عنهما-: (حِينَ تَبيَضُّ وُجُوهُ أَهلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَتَسوَدُّ وُجُوهُ أَهلِ البِدعَةِ وَالفُرقَةِ).

ومن فوائد الاعتصام بالكتاب والسنة أنه:

١- نجاة للعبد من مضلات الفتن.

٢- عصمة للعبد من الوقوع في الشهوات المحرمة.

٣- عزة للأمة، وقوة لها.

٤- يكشف حيل الشيطان ومداخله.

٥- دليل على صحة العقل، واستقامة الفطرة.

٦- يثمر اطمئنان القلب، وراحة النفس.

٧- عصمة من الوقوع في البدع ومحدثات الأمور.

الذنب الأعظم

إن أعظم الذنوب عند الله تعالى: الشرك به سبحانه. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ النساء: ١١٦

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والشرك هو: أن يُعبَد المخلوق كما يعبَد الله، أو يعظَّم كما يعظَّم الله، أو يصرَف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية، و ينقسم قسمين: شرك أكبر، وشرك أصغر، فأما الشرك الأكبر، فهو الذي يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، ويوجب له الخلود في النار، ويحرم عليه الجنة إذا لم يتب منه ومات عليه، ومن الشرك الأكبر؛ صرف عبادة من العبادات لغير الله تعالى مثل الدعاء، أو النذر، أو الخوف، أو الذبح،

قال سبحانه ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ المائدة: ٧٢

وقال تعالى ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾﴾ المائدة: ١٧

ومن أنواع الشرك الأكبر:

شرك الدعاء:

وهو أن يدعو العبد غير الله كدعاء الله سواء كان دعاء عبادة أو دعاء مسألة، فمن دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد وقع في الشرك

قال تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ المؤمنون: ١١٧، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ العنكبوت: ٦٥

فأخبر تعالى أن المشركين يخلصون الدعاء لله في الشدة، ويشركون له في الرخاء، ولم يمنعهم إخلاصهم المؤقت، فدل على أن التوحيد لا يمنع صاحبه إلا إذا استمر عليه حتى الممات.

ومنه شرك النية والإرادة والقصد:

وهو أن يقصد ويريد وينوي بعمله أصلاً غير الله -عز وجل - قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ هود: ١٥ - ١٦

قال ابن عباس: (إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا؛ وذلك أنهم لا يظلمون نقيرًا، يقول: من عمل صالحًا التماس الدنيا صومًا أو صلاة أو تهجدًا بالليل لا يعمله إلا التماس الدنيا، يقول الله تعالى: أُوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعمله لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين).

ومنه شرك الطاعة: وهو مساواة غير الله بالله في التشريع والحكم (أي في التحليل والتحريم) قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ التوبة: ٣١

روى الترمذي في سننه من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية، قال: ((أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحل لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه)).

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ الأنعام: ١٢١

فمن أطاع غير الله تعالى في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام واتخذ ذلك دينًا وشرعًا، فقد أشرك بالله. قال بعض العلماء: (من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله).

ومنها شرك المحبة:

وهو أن يحب مع الله غيره كمحبة الله أو أشد من ذلك قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ البقرة: ١٦٥

قال ابن كثير في تفسيره: (يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الآخرة، حيث جعلوا له أندادًا، أي: أمثالًا، ونظراء يعبدونهم معه، ويحبونهم كحب الله، وهو الله لا إله إلا هو، لا ضد له ولا ند).

أما الشرك الأصغر: وهو ما ورد في الشرع أنه شرك ولم يصل إلى الشرك الأكبر، وهو وسيلة إلى الشرك الأكبر وهو بلا شك ينقص التوحيد ولا يخرج مرتكبه من الإسلام فلا يخلد في النار.

فهو الذي لا يخرج صاحبه من الملة.

وينقسم إلى قسمين: شرك ظاهر، وشرك خفي.

أما الظاهر، فهو يختص بالأعمال والأفعال والأقوال والألفاظ الظاهرة، أما الأقوال والألفاظ الظاهرة، فمثل الحلف بغير الله، كما جاء في الصحيحين أن النبيﷺ قال: ((أَلَا إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ باللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ))، وقولهﷺ: ((مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ)).

رواه الترمذي. لأن الحلف لا يكون إلا بالله أو صفاته، ولا يجوز الحلف بغيره، وإن اعتقد أن المحلوف به بمنزلة الله في العظمة فهذا شرك أكبر كما سبق وإلا فهو شرك أصغر. وقول ما شاء الله وشئت، وقول لولا الله وفلان، فلا يجوز لأحد أن يساوي غير الله به سبحانه، بل يقول ما شاء الله، ثم فلان، ولولا الله ثم فلان وهكذا، أما الأعمال والأفعال، فهي كثيرة جدًّا، مثل تعليق التمائم خوفًا من العين، أو لبس الحلقة أو الخيط لرفع البلاء أو دفعه، هذا مع اعتقاده أنها سبب لرفع البلاء أو دفعه، فإن اعتقد أنها تدفع أو تزيل البلاء بنفسها، فهذا شرك أكبر.

القسم الثاني: شرك خفي: وهو الشرك في النيات والمقاصد والإرادات، قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠

وهذا الشرك بحر لا ساحل له وقل من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير التقرب إلى الله تعالى، فقد أشرك في إرادته ونيته. والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله ونيته وإرادته، فإن هذه هي الملة الحنيفية؛ ملة إبراهيم - عليه السلام -

التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ آل عمران: ٨٥

روى ابن خزيمة في صحيحه من حديث محمود ابن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج النبي ﷺ فقال: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ)) قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ ؟ قَالَ : ((يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ)).

وَإنما سُمِّيَ الرياء شركًا خفيًّا؛ لأن صاحبه يُظهرُ أن عمله لله، وقد قصدَ به غيرَه أو شركه فيه، وزيَّن صلاته لأجله. والنيات والمقاصد وأعمال القلوب لا يعلمها إلا الله - سبحانه وتعالى-.

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث مَحْمُود ابْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ)) قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ((الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً)).

يعني أنه يبطل أعمال المرائين، وأنه يحيلهم على الذين راءَوهم في الدنيا، فيقال: انظروا: هل يثيبونكم؛ أي: أولئك الذين تزينتم عندهم ورائَيتموهم في الدنيا؟

هل تجدون عندهم ثوابًا؟

هل تجدون عندهم جزاءً على أعمالكم؟!.

وقد يتهاون بعض الناس بهذا النوع لتسميته شركًا أصغر، وسمي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر من جميع الكبائر، ولذلك قال العلماء: إن الشرك الأصغر إذا دخل عملًا فسد ذلك العمل وحبط.

فالواجب على المؤمن أن يحذر من الشرك بجميع أنواعه، وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم - عليه السلام - على نفسه من الشرك, وهو إمام الموحدين، فقال لربه

﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ إبراهيم: ٣٥

قال إبراهيم التيمي: (ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟).

وقال غيره من أهل العلم: (فلا يأمن من الوقوع في الشرك، إلا من هو جاهل به، وبما يُخْلِصُهُ منه، مع العلم بالله وبما بعث به رسوله من توحيده والنهي عن الشرك به).

خطورة السحر

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٠٢

فقد أخبر - سبحانه - بكذب الشياطين فيما تلتْه على ملْك سليمان، ونفَى عنه ما نَسَبُوه إليه من السِّحر بنفْي الكفر عنه؛ مما يدل على كون السحر كفرًا، وأكَّد كفر الشياطين، وذَكَر صورةً من ذلك، وهي تعليم الناس السحرَ، ومما يؤكِّد كفرَ متعلِّم السحر قولُه - تعالى - عن الملَكينِ اللذين يعلِّمانِ الناسَ السحرَ ابتلاءً لمن جاء متعلمًا: ﴿ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ ﴾ أي: لا تكفر بتعلُّم السحر، ثم أخبر سبحانه أن تعلُّم السحر ضررٌ لا نفع فيه، فقال:

﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ ﴾، وما لا نفع فيه وضررُه محقق، لا يجوز تعلُّمه.

ثم قال سبحانه ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ ﴾ ؛ أي: لقد علِم اليهودُ فيما عهد إليهم أن الساحر لا خلاقَ له في الآخرة، قال ابن عباس: ليس له نصيب، وقال الحسن: ليس له دين، فدلَّت الآية على تحريم السحر، وعلى كفْر الساحر، وعلى ضرر السحر على الخلق،

قال سبحانه : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾طه: ٦٩، ففي هذه الآية الكريمة نفي الفلاحَ عن الساحر نفيًا عامًّا في أي مكان، وهذا دليل على كفره.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: ((الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ)).

وهذا يدلُّ على عِظم جريمة السِّحر؛ لأنه قرَنَه بالشرك، وعدَّه من السبع الموبقات التي نهى عنها؛ لكونها تُهلك فاعلَها في الدنيا؛ لما يترتَّب عليها من الأضرار الحسية والمعنوية، وتهلكه في الآخرة؛ بما يناله بسببها من العذاب الأليم.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال:

((من أتى عرَّافًا أو كاهنًا فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد))، وروى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: ((من أتى عرافًا فسأله عن شيء، لم تُقبَل له صلاة أربعين ليلة))، وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سأل أناس رسولَ الله ﷺ عن الكهان، فقال: ((ليسوا بشيء))، قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدِّثون أحيانًا بالشيء يكون حقًّا؟ فقال رسول الله ﷺ: ((تلك الكلمة من الحق، يخطفها الجني، فيَقُرُّها في أُذن وليّه قَرَّ الدجاجة، فيخلطون فيها أكثرَ من مائة كذبة)).

ففي هذه الأحاديث النهيُ عن إتيانِ العرافين والكهنة والسَّحرة وأمثالهم، وسؤالِهم وتصديقهم، والوعيدُ على ذلك، وفيها دليلٌ على كفر الكاهن والساحر؛ لأنهما يدَّعيان علم الغيب، وذلك كفرٌ؛ ولأنهما لا يتوصلان إلى مقصدهما إلا بخدمة الجنِّ وعبادتهم من دون الله، وذلك كفر بالله وشركٌ به - سبحانه.

والساحر لا يتمكَّن من سحرِه إلا بالخروج من هذا الدِّين، إما بالذَّبح للجن، أو الاستغاثة بهم، أو إهانة كلام الله، أو غير ذلك من الموبقات.

قال بعض أهل العلم-: (يكتبون كلام الله بالنجاسة، وقد يقلبون حروف كلام الله، إما حروف الفاتحة، وإما حروف سورة الإخلاص، وإما غيرهما، إما بدمٍ وإما غيره، وإما بغير نجاسة، أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان، أو يتكلَّمون بذلك).

ولهذا كلما كان الساحر أكفرَ وأخبث، وأشدَّ

معاداة لله ولرسوله ولعباده المؤمنين، كان سحرُه أقوى وأنفذَ، ولهذا كان سحر عُباد الأصنام أقوى من سحر أهل الكتاب، وسحر اليهود أقوى من سحر المنتسبين إلى الإسلام، وهم الذين سَحَروا رسولَ الله ﷺ.

والنصوص السابقة من الكتاب والسُّنة، تدلُّ على كفر الساحر، وأن حده القتل في شريعة الإسلام (والذي يقيم الحدود هو الحاكم المسلم أو من يقوم مقامه) ، روى الترمذي في سننه من حديث جندب - رضي الله عنه - موقوفًا عليه أنه قال: (حدُّ الساحر ضربة بالسيف).

والسحر داء يؤثِّر، فيُمرِض الأبدانَ، ويقتل ويفرِّق بين المرء وزوجه، وشُرع للمرء الذي أُصيب به أن يسعى في علاجه، مع الأخذُ بالأسباب المباحة المؤدِّية إلى الشفاء؛ لأن الله - تعالى - جعل لكل داء دواءً،

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: ((ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء)) ، والسحر كأي مرض من الأمراض، تكون منه الوقاية والتحصُّن قبل وقوعه، وله العلاج بعد وقوعه، وكله من الله سبحانه، الداء والدواء، والعلاج والشفاء، فالداء والدواء والعلاج قد يجريها الله على بعض عباده، ويُطلِعهم عليها، أما الشفاء؛ فلا يكون إلا من الله، فلا شفاء إلا شفاؤه، سبحانه.

والعلاج الإلهي للسِّحر

قسمان:

القسم الأول:

ما يُتَّقى به السحر قبل وقوعه ومن ذلك:

١- القيام بجميع الواجبات قدر الاستطاعة، وترك جميع المحرَّمات، والتوبة من جميع السيِّئات.

٢- الإكثار من قراءة القرآن الكريم بحيث يجعل له وِردًا منه كل يومٍ.

٣-التحصُّن بالدَّعوات والتعوَّذات والأذكار المشروعة ومن ذلك: «بِسْمِ الله الَّذِي لَا يَضُرُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ثلاث مراتٍ في الصباح والمساء, (رواه الترمذي). وقراءة آية الكرسيّ دُبر كلِّ صلاةٍ، وعند النوم، وفي الصباح والمساء. وقراءة سورة الإخلاص، والمعوِّذتين ثلاث مراتٍ في الصباح والمساء، وعند النوم وقول: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ؛ وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مائة مرةٍ كل يوم»،

(رواه البخاري ومسلم).

والمحافظة على أذكار الصباح والمساء، والأذكار أدبار الصلوات، وأذكار النوم، والاستيقاظ منه، وأذكار دخول المنزل والخروج منه، وأذكار الرُّكوب، وأذكار دخول المسجد والخروج منه، ودعاء دخول الخلاء والخروج منه، ، وغير ذلك، ولا شكَّ أنَّ المحافظة على ذلك من الأسباب التي تمنع الإصابة بالسِّحر، والعين، والجانِّ بإذن الله تعالى وهي أيضًا من أعظم العلاجات بعد الإصابة بهذه الآفات وغيرها.

فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله، معمورًا بذِكره، وله وردٌ من الذكر والدعاء والتوجُّه لا يخلُّ به، كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له، وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة، ولهذا غالب ما يؤثِّر في النساء والصبيان والجهال، ومن ضعُف حظُّه من الدِّين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية، والدعوات والتعوذات النبويَّة؛ لأن الأرواح الخبيثة إنما تتسلَّط على أرواحٍ تلقاها مستعدةً لما يناسبها.

أكل سبع تمراتٍ على الرِّيق صباحًا إذا أمكن، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من اصطبح بسبع تمراتٍ عجوةً لم يضُرُّهُ ذلك اليوم سُمٌّ ولا سحرٌ»، (رواه البخاري ، ومسلم:)، والأكمل أن يكون من تمرِّ المدينة, ويُرجَى لمن أكل سبع تمراتٍ من غير تمرِ المدينة مُطلقًا.

القسم الثاني:

علاج السحر بعد وقوعه؛ وهو أنواعٌ:

النوع الأول: "استخراجه وإبطاله إذا عُلم مكانه بالطرق المباحة شرعًا, وهذا من أبلغ ما يُعالج به المسحور".

النوع الثاني: الرُّقية الشرعية؛ وهي القراءة على المصاب بشيء من القرآن الكريم، ومن الأدعية النبوية.

النوع الثالث: الاستفراغ بالحجامة في المحلِّ أو العضو الذي ظهر أثر السِّحر عليه؛ إن أمكن ذلك، وإن لم يمكن؛ كفى ما سبق ذكره من العلاج بحمد الله تعالى.

النوع الرابع: الأدوية الطبيعية، فهناك أدويةٌ طبيعيةٌ نافعةٌ، دلَّ عليها القرآن الكريم والسَّنة المطهرة، إذا أخذها الإنسان بيقينٍ، وصدق توجهٍ مع الاعتقاد أن النفع من عند الله؛ نفَعَ الله بها إن شاء الله تعالى، ومن ذلك: العسل، والحبة السوداء وماء زمزم وزيت الزيتون، كما أن هناك أدويةً

مركبةً من أعشاب ونحوها، وهي مبنيةٌ على التجربة فلا مانع من الاستفادة منها شرعًا ما لم تكن حرامًا. والشافي هو الله جل جلاله.

وأما علاج السحر بالسحر، فهذا حرام؛ لعموم النصوص الواردة في تحريم السحر؛ لأنه من عملِ الشيطان، ولا يجوز علاجُه بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين، واستعمال ما يقولون؛ لأنهم كذبةٌ فَجَرة، يدَّعون علم الغيب، ويلبِّسون على الناس.

روى أبو داود من حديث جابر، أن النبي ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: ((هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)) والنشرة هي حلُّ السحر عن المسحور، والمراد بالنُّشْرَةِ الواردة في الحديث النشرةُ التي يتعاطاها أهل الجاهلية، وهي سؤال الساحر حلَّ السحرِ بسحرٍ مثله.

فإذا عُلم ما تقدَّم ذِكره، تبيَّن أن ما يفعله بعض الناس من الاتِّصال ببعض القنوات الفضائية للسحرة، وسؤالهم أمرٌ محرَّم؛ بل هو في غاية الخطورة، ويقدح في العقيدة، وكيف يُقدِم مسلِم على ذلك وهو يعلم الآياتِ والأحاديثَ الواردة في ذمِّ السحرة، والنهي عن إتيانهم وتصديقهم؟! ومن فعل ذلك فإنه يُخشى على إيمانه وتوحيده.

محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

١ ـ وجوب محبته وتعظيمه ﷺ .

يجبُ على العبدِ أولًا: محبّةُ الله عز وجل، وهي من أعظم أنواع العبادة، قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ البقرة: ١٦٥.

لأنه هو الرّبُّ المتفضّل على عباده بجميع النّعم ظاهِرها وباطنها، ثم بعد محبة الله تعالى، تجب محبة رسوله محمد ﷺ ؛ لأنه هو الذي دعا إلى الله -عز وجل-، وعرَّف به، وبلَّغ شريعته، وبيَّن أحكامه، فما حصل للمؤمنين من خير في الدنيا والآخرة، فعلى يد هذا الرسول ﷺ ، ولا يدخلُ أحدٌ الجنة إلا بطاعته واتباعه ﷺ، فعن أنس ابن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ؛ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)). متفقٌ عليه

فمحبة الرسول تابعة لمحبة الله تعالى، لازمة لها، وتليها في المرتبة، وقد جاء بخصوص محبته ﷺ ووجوب تقديمها على محبة كل محبوب سوى الله تعالى، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ:((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)). متفقٌ عليه

بل ورد أنه يجب على المؤمن أن يكون الرسولُ ﷺ أحبَّ إليه من نفسه، كما في الحديث: أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال:يَا رَسُولَ الله ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ)) ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الْآنَ والله لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((الْآنَ يَا عُمَرُ)) .. رواه البخاري.

ففي هذا أن محبة الرسول واجبةٌ ومقدّمةٌ على محبّة كل شيء سوى محبة الله، فإنها تابعة لها لازمة لها؛ لأنها محبة في الله ولأجله، تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن، وتنقص بنقصها، وكل من كان محبًّا لله؛ فإنما يحب في الله ولأجله. ومحبّتهﷺ تقتضي تعظيمه وتوقيره واتباعه، وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق، وتعظيم سنته. وكلُّ محبة وتعظيم للبشر؛ فإنما تجوز تبعًا لمحبة الله وتعظيمه، كمحبته ﷺ وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مُرْسِلِهِ وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله.

والمقصودُ: أن النبيﷺ ألقى الله عليه من المهابة والمحبة.... ولهذا لم يكن بشرٌ أحبَّ إلى بشرٍ ولا أهيب وأجَلَّ في صدره، من رسول اللهﷺ في صدور أصحابه - رضي الله عنهم - قال عمرو ابن العاص -رضي الله عنه- بعد إسلامه: (لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ الله ﷺ مِنِّي... فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي.. مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ).

وقال عروة بن مسعود لقريش: يا قوم، والله لقد وفدت إلى كسرى وقيصر والملوك، فما رأيتُ ملكًا يعظمه أصحابه؛ ما يعظم أصحابُ محمد محمدًا ﷺ، والله ما يحدُّون النظر إليه تعظيمًا له، وما تنخَّم نُخامةً إلا وقعت في كَفِّ رجل منهم، فيدلك بها وجهَهُ وصدره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه).

٢ ـ النهي عن الغُلوّ والإطراء في مدحه .

الغلو :

تجاوز الحد، يُقالُ: غَلا غُلُوًّا، إذا تجاوز الحد في القدر، قال تعالى : ﴿ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ النساء: ١٧١ أي: لا تجاوزوا الحد. والمرادُ بالغُلوِّ في حق النبي ﷺ : مجاوزة الحد في قَدْرِهِ؛ بأن يُرفع فوق مرتبة العبودية والرسالة، ويُجعلَ له شيء من خصائص الإلهية؛ بأن يُدعى ويُستغاث به من دون الله، ويُحلفَ به.

والإطراءُ :

مجاوزة الحدّ في المدح، والكذب فيه.

والمراد بالإطراء في حقه ﷺ : أن يُزادَ في مدحه بغير الواقع، فقد نهى ﷺ عن ذلك بقوله: ((لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ الله، وَرَسُولُهُ)). رواه البخاري، أي: لا تمدحوني بالباطل، ولا تجاوزوا الحدَّ في مدحي، كما غلت النَّصارى في عيسى - علي السلام- فادَّعوا فيه الألوهية، وَصِفُوني بما وَصَفَني به ربّي، فقولوا: عبدُ الله ورسوله. ولما قال له بعض أصحابه: أنت سيّدُنا، فقال: ((السَّيّدُ الله تبارك وتعالى))(أي أن السيادة المطلقة لاتكون الإ لله وحده وهو والحقيق بهذا الإسم)، ولما قالوا: أفضلنا وأعظمنا طَولًا (أي أعظمنا شرفًا وغني)، فقال: ((قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ)).

رواه أبو داود بسند جيد.

قال السندي : (وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ: أي لا يستعملنكم الشيطان فيما يريد من التعظيم للمخلوق بمقدار لا يجوز). اهـ

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّد، يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله ، عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ ، وَالله مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي الله عَزَّ وَجَلَّ)). رواه أحمد والنسائي ، كره ﷺ أن يمدحوه بهذه الألفاظ: أنت سيدنا

- أنت خيرُنا - أنت أفضلُنا - أنت أعظمُنا، مع أنه أفضلُ الخلق وأشرفُهم على الإطلاق؛ لكنه نهاهم عن ذلك، ابتعادًا بهم عن الغُلُوِّ والإطراء في حقه، وحمايةً للتوحيد، وأرشدهم أن يصفوه بصفتين؛ هما أعلى مراتب العبد، وليس فيهما غلو ، وهما: عبد الله ورسوله، ولم يُحب أن يرفعوه فوق ما أنزله الله -عز وجل- من المنزلة التي رضيها له، وقد خالف نهيَه ﷺ كثيرٌ من الناس فصاروا يدعونه، ويستغيثون به، ويحلفونَ به، ويطلبون منها ما لا يُطلب إلا من الله، ولا يُميزون بين حق الله وحق الرسول ﷺ . **ولله در القائل:**

لله حَقٌّ لا يَكُونُ لِغَيْرِهِ
وَلِعَبْدِهِ حَقٌّ هُمَا حَقّانِ
لا تَجْعَلُوا الحَقّيْنِ حَقًّا وَاحِدًا
مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ ولا فُرْقَانِ

٣ ـ بيان منزلته -ﷺ-

لا بأس ببيان منزلته بمدحه ﷺ بما مدحه الله به، وذكر منزلته التي فضله الله بها واعتقاد ذلك، فله ﷺ المنزلة العالية التي أنزله الله فيها، فهو عبد الله ورسوله، وخيرته من خلقه، وأفضل الخلق على الإطلاق، وهو رسول الله إلى الناس كافة، وإلى جميع الثقلين الجن والإنس، وهو أفضل الرسل، وخاتم النبيين، لا نبيَّ بعده، قد شرح الله له صدره، ورفع له ذكره، وجعل الذِّلَّة والصَّغار على من خالف أمره، وهو صاحب المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه:

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ الإسراء: ٧٩

أي: المقام الذي يُقيمه الله فيه للشفاعة للناس يوم القيامة؛ ليريحهم ربهم من شدة الموقف، وهو مقام خاص به ﷺ دونَ غيره من النبيين.

وهو أخشى الخلق لله، وأتقاهم له، وقد نهى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عن رفع الصوت بحضرته ﷺ، وأثنى على الذين يَغُضّونَ أصواتهم عنده، فقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ الحجرات: ٢ - ٥

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: (هذه آيات أدّب الله فيها عباده المؤمنين فيما يعاملون به النبي ﷺ من التوقير والاحترام، والتبجيل والإعظام... أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته).

ونهى سبحانه وتعالى أن يُدعى الرسول بِاسْمِهِ كما يُدعى سائرُ الناس، فيقال: يا محمد، وإنما يُدعى بالرسالة والنبوة فيقال: يا رسول الله، يا نبي الله،

قال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ النور: ٦٣

كما أن الله سبحانه يناديه بـ يا أيها النبي، يا أيها الرسول. وقد صلى الله وملائكته عليه، وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه، فقال تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ الأحزاب: ٥٦

لكن لا يُخصص لمدحه ﷺ وقتٌ ولا كيفية معينة إلا بدليلٍ صحيح من الكتاب والسُّنَّة، فما يفعله البعض من تخصيص يوم في العام يزعمون أنه يوم مولده لمدحه والإجتماع فيه خلاف السنة وماكان عليه السلف الصالح -رضوان الله عليهم -في القرون المفضلة .

ومن تعظيمه ﷺ : تعظيم سنته، واعتقاد وجوب العمل بها، وأنها في المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم في وجوب التعظيم والعمل؛ لأنها وحي من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ النجم: ٣ - ٤

الصلاة عماد الدين

إنَّ من أوجب الواجبات التي أوجبها الله على عباده وأجلّ الفرائض التي افترضها الصلاة ؛ فالصلاة عماد الدين وآكد أركانه بعد الشهادتين وهي الصلة بين العبد وربه ، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، فإذا صلحت صلح سائر عمله ، وإذا فسدت فسد سائر عمله ، وهي الفارقة بين المسلم والكافر ، فإقامتها إيمان وإضاعتها كفر ، فلا دين لمن لا صلاة له ، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، ومن حافظ عليها كانت له نوراً في قلبه ووجهه وقبره وحشره ، وكانت له نجاة يوم القيامة ، وحُشر مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقا ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة ، وحُشر مع فرعون وهامان وقارون وأبيّ ابن خلف.

وقد كان عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يكتب إلى الآفاق : (إنَّ أهم أموركم عندي الصلاة فمن حفظها حفظ دينه ، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيَع). رواه مالك في الموطأ، وقال -رضى الله عنه- أيضا كما في الموطأ: (لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة) ، قال الإمام أحمد -رحمه الله-: (فكل مستخِفٍّ بالصلاة مستهين بها فهو مستخِفٌّ بالإسلام مستهين به ، وإنما حظّهم

في الإسلام على قدر حظهم من الصلاة ، ورغبتهم في الإسلام على قدر رغبتهم في الصلاة ؛ فاعرف نفسك يا عبد الله واحذر أن تلقى الله ولا قدر للإسلام عندك ، فإنَّ قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك ..... فصلاتنا آخر ديننا وهي ما نسأل عنه غداً من أعمالنا يوم القيامة، فليس بعد ذهاب الصلاة إسلام ولا دين إذا صارت الصلاة آخر ما يذهب من الإسلام). اهـ

لا يختلف المسلمون أنَّ ترك الصلاة المفروضة عمداً من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ، وأنَّ إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس وأخذ الأموال ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة ، ثم إنهم اختلفوا في كفره، ومن قال من أهل العلم بكفر تارك الصلاة قد احتج لذلك بأدلة قوية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وأقلّ أحوال هذه الأدلة أنها تبعث في قلب المسلم الحريص حب الصلاة وتعظيمها ومعرفة قدرها ، وتحرك في نفسه حب المحافظة عليها والعناية بها وأدائها في وقتها كما أوجب الله .

يقول الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ المدثر: ٣٨ -٤٧ . فأخبر تعالى أن تارك الصلاة من المجرمين السالكين في سقر ؛ وهو واد في جهنم .

ويقول تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ مريم: ٥٩ .

وقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أن غيًّا نهر في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر ، فيا عظم مصيبة من لقيه ويا شدة حسرة من دخله .

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ السجدة: ١٥ ، ويقول تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ المرسلات: ٤٨ -٤٩ .

ذكر هذا بعد قوله تعالى :

﴿ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾ المرسلات: ٤٦

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ)) . رواه مسلم, وعن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: ((الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)). رواه أحمد والترمذي،

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ((مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ)) رواه البخاري، وفي رواية عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : ((مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ)) رواه البخاري، وقد جاء عن الصحابة –رضي الله عنهم في هذا المعنى آثار كثيرة منها: ما جاء عن ابن مسعود –رضي الله عنه- قال : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى ، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ).

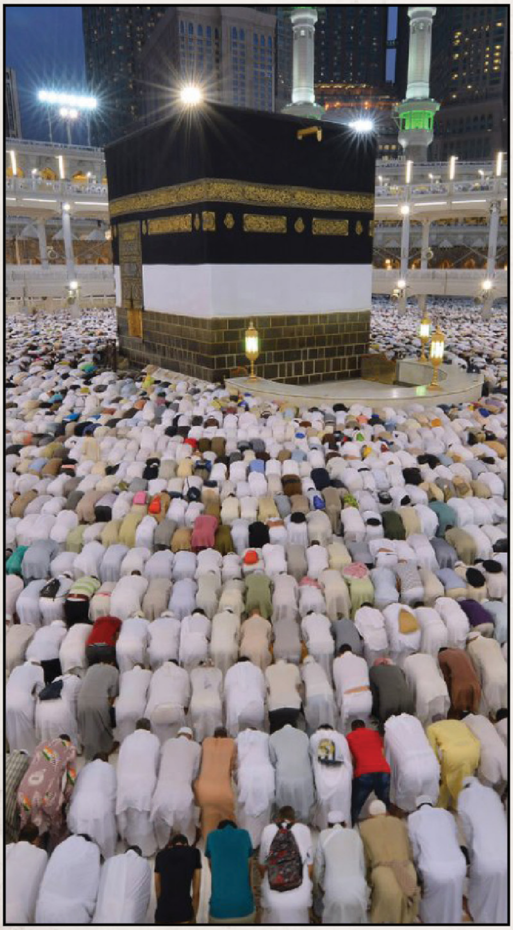

فإذا كان هذا شأن من لا يشهد الصلاة مع الجماعة يعده الصحابة منافقاً معلوم النفاق ، فكيف إذاً بالتارك لها؟! نسأل الله السلامة .

إنَّ ميزان الصلاة في الإسلام عظيم ومنزلتها عالية ، وقد فرضها الله على نبيه محمد ﷺ من غير واسطة من فوق سبع سماوات عندما عُرج به ﷺ إلى السماء .

وقد ورد فيها غير ما تقدم مما يدل على فضلها وعظم قدرها وشدة عقوبة تاركها نصوص كثيرة في الكتاب والسنة، والمقام لا يسمح لأكثر من هذا. ومع هذا فقد خفَّ ميزان الصلاة عند كثير من الناس، فمن الناس من تهاون بها ، ومنهم من تهاون بشروطها وأركانها وواجباتها فلا يأتي بها على وجهها ، ومنهم من يتهاون بالصلاة مع الجماعة؛ وهذا من علامات المنافق عند الصحابة.

فالواجب علينا أن نحافظ على هذه الطاعة الجليلة، والعبادة العظيمة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وأن نحذر أشد الحذر من سبيل المجرمين ، قال -عز وجل: -

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٣٨

إن الإسلام لم يكتف من المسلم أن يؤدي الصلاة وحده في عزلة عن المجتمع الذي يعيش فيه، ولكنه دعاه دعوة قوية إلى أدائها في جماعة المسلمين وفي المساجد فقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ البقرة: ٤٣

قال الإمام ابن كثير تفسيره: (أمرهم أن يركعوا مع الراكعين من أمة محمد يقول: كونوا معهم ومنهم).

وشأن صلاة الجماعة في الإسلام عظيم ومكانتها عند الله عالية، لذلك شرع الله بناء المساجد لها فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ النور: ٣٦، بل إن أول عمل بدأ به الرسول ﷺ حين قدم المدينة بناء المسجد لأداء الصلاة فيه، وشرع الله النداء لصلاة الجماعة من أرفع مكان بأعلى صوت، وبأندى صوت، بل كان رسول الله يتفقد الغائبين ويتوعد المتخلفين، وذلك من أجل صلاة الجماعة.

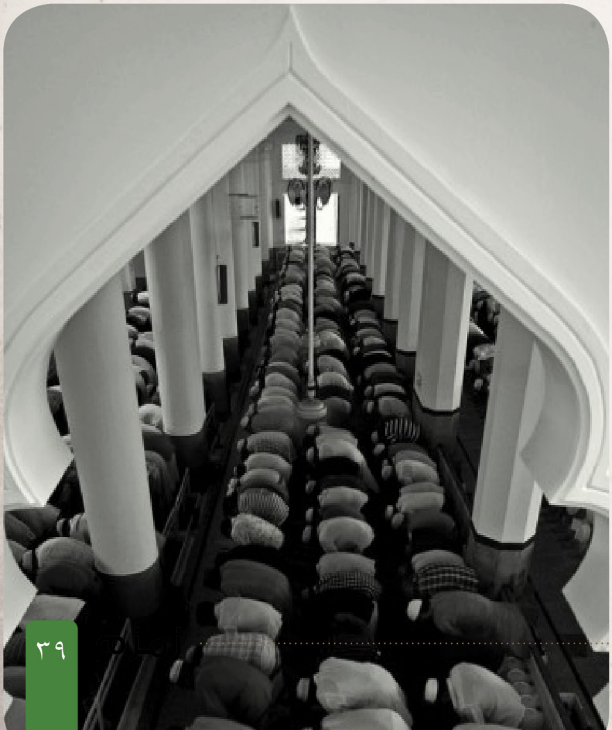

الطمأنينة في الصلاة

إنَّ من الأخطاء العظيمة التي يقع فيها بعض المصلِّين: ترك الطمأنينة في الصلاة، وقد عدَّ النبي ﷺ فاعل ذلك من أسوء الناس سرقة . فعن أبي قتادة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ: ((أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ)) قَالُوا يَا رَسُولَ الله وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ ؟ قَالَ: ((لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا - أَوْ قَالَ - لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ)). رواه أحمد ، فعدَّ -صلوات الله وسلامه عليه- السرقة من الصلاة أسوء وأشد من السرقة من المال.

ومعنى الطمأنينة في الصلاة : أن تستقرَّ الأعضاءُ في الركوع أو السجود استقراراً تاماً

وبمعنى أخر: هي التأني وإعطاء كل ركن من الصلاة حقة، فإذا ركعت فأعْطِ الركوع حقه من اعتدال الظهر والتسبيح ، وكذلك الرفع منه ، والسجود ، وهكذا.

أما الخشوع في الصلاة فهو حضور القلب وتدبر القرآن والذكر ، والعناية بإكمال الصلاة وأداء ما يستحب فيها من أفعال وأقوال .

إن الطمأنينة في الصلاة ركن من أركان الصلاة لا تصح الصلاة بدونها، وقد قال ﷺ للمسيء صلاته : ((إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ

رَاكِعًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا)). متفق عليه.

وقد أخذ أهل العلم من هذا الحديث أن من لم يُقِم صلبه في الركوع والسجود فإن صلاته غير مجزئة وعليه إعادتها ، وكما قال ﷺ لهذا المسيء في صلاته إيضاً : ((ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ)). متفق عليه.

لقد وردت في السنة أحاديث كثيرة جداً في الأمر بإقامة الصلاة وإتمامها ، والتحذير من ترك الطمأنينة فيها أو الإخلال بأركانها وواجباتها، ومن ذلك غير ما تقدم : ما ورد عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- : أن النبي ﷺ قال : ((أَتِمُّوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ)). متفق عليه.، والإتمام إنما يكون بالطمأنينة .

ومن الأدلة أيضاً : ما جاء عن علي بن شيبان -رضي الله عنهما – وكان من الوفد – قال : خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ وَصَلَّيْنَا خَلْفَهُ ، فَلَمَحَ بِمُؤْخِرِ عَيْنِهِ رَجُلًا لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ -يَعْنِي صُلْبَهُ- فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ : ((يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ)) رواه أحمد وابن ماجه، أي لا يسوي ظهره عقب الركوع والسجود ، فالحديث دليل على ركنية القومة والجلسة والطمأنينة فيهما وفي الحديث أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبْصَرَ رَجُلًا لَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ ، فَقَالَ : ((لَوْ مَاتَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ لَمَاتَ عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، مَثَلُ الَّذِي يُصَلِّي وَلَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ كَمَثَلِ الْجَائِعِ لَا يَأْكُلُ إِلَّا التَّمْرَةَ أَوِ التَّمْرَتَيْنِ ، لَا يُغْنِيَانِ عَنْهُ شَيْئًا)). رواه أبو يعلى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِثَلَاثٍ وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ ... وَنَهَانِي عَنْ نَقْرَةٍ كَنَقْرَةِ الدِّيكِ ، وَإِقْعَاءٍ كَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ، وَالْتِفَاتٍ كَالْتِفَاتِ الثَّعْلَبِ)). رواه أحمد، وعن حذيفة رضي الله عنه : رَأَى رَجُلًا لَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ : (مَا صَلَّيْتَ، قَالَ وَأَحْسِبُهُ قَالَ : لَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَى غَيْرِ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ)، وفي رواية : (وَلَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَى غَيْرِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَيْهَا). رواه البخاري.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((... وَكَانَ – أي رسول الله ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ لَمْ يَسْجُدْ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا ، وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السَّجْدَةِ لَمْ يَسْجُدْ حَتَّى يَسْتَوِيَ جَالِسًا)). رواه مسلم.

إن الأحاديث المشتملة على الأمر بالمحافظة على إقامة الركوع والسجود والرفع منهما ، والدالة على

أن ذلك من أركان الصلاة التي لا تصح الصلاة إلا بها كثيرة جدا ، وهي محفوظة في دواوين السنة كالبخاري ومسلم والسنن الأربعة وغيرها ، وقد تقدم معنا جملة منها . والواجب على كل مسلم أن يحافظ على ذلك في صلاته تمام المحافظة؛ فيتم ركوعه والرفع منه وسجوده والرفع منه، في صلاته كلها على الوجه الذي يرضي الرب تبارك وتعالى ، عملاً بهدي الرسول ﷺ وتمسكاً بسنته القائل ﷺ: ((صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)). رواه البخاري.

وقد ذهب علماء المسلمين استناداً إلى ما تقدم من النصوص الثابتة عن الرسول ﷺ وغيرها إلى أن الأعتدال في أركان الصلاة في الركوع والسجود والقومة بينهما والقعدة بين السجدتين فرض في الصلاة وركن من أركانها ، تبطل الصلاة بتركه ، ويلزم من وقع في ذلك إعادة الصلاة .

إن الواجب على كلِّ مسلم أن يحافظ على صلاته وإقامتها تمام المحافظة في شروطها وأركانها وواجباتها وسننها ، ويأتي بذلك كله على التمام والكمال ؛ فهي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : ((إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاَتُهُ ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ)). رواه الترمذي. والله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ المؤمنون:١-٢، ويقول تعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ البقرة: ٢٣٨ ويقول تعالى :، ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الماعون: ٤ - ٥، قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير هذه الآية في معنى قوله سبحانه:

﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: (إما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فاللفظ يشمل هذا كله ، ولكلِّ من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية ، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم نصيبه منها وكمل له النفاق العملي) .

الدعاء

إن شأنَ الدعاء عظيم ، ونفْعَهُ عميم ، ومكانتَه عاليةٌ في الدين، فما استُجْلِبت النعمُ بمثله ولا استُدْفِعت النِّقَمُ بمثله ، ذلك أنه يتضمَّن توحيد الله ، وإفراده بالعبادة دون من سواه ، وهذا رأس الأمر ، وأصل الدين .

وإليكم – معاشر القراء – هذه الوقفات اليسيرة مع مفهوم الدعاء ، وفضائله، وشروطه .

معنى الدعاء:

فالدعاء هو: سؤال العبد ربه حاجته .

أنواع الدعاء:

ينقسم الدعاء إلى قسمين: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

فدعاء المسألة: أن تسأل الله تعالى حاجاتك، بأن تقول: رب اغفر لي وارحمني وارزقني وعافني واجبرني وما أشبه ذلك.

ودعاء العبادة: أن تتعبد لله -تبارك وتعالى- بما شرع، تصلى وتزكي وتصوم وتحج وتفعل الخير؛ لأن هذا الذي يتعبد لله ما قصد إلا رضوان الله وثوابه، فهو داع لله تعالى بلسان الحال له لا بلسان المقال.

على أن بعض هذه العبادات التي يتعبد بها تتضمن دعاء المسألة، كالصلاة مثلاً، ففي الصلاة يقول المصلى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) وهذا دعاء مسألة. ويقول: رب اغفر لي وهذا دعاء مسألة، ويقول: السلام عليك أيها النبي، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، اللَّهُمَّ صل على محمد، اللَّهُمَّ بارك على محمد، أعوذ بالله من عذاب جهنم، وهذا كله دعاء مسألة. فالفرق بينهما إذاً:

أن دعاء المسألة أن يسأل الله تعالى شيئاً مباشرة، سواء سأله حصول مطلوب أو سأله النجاة من مرهوب. ودعاء العبادة أن يتعبد لله تعالى بما شرع، رجاء ثوابه جل وعلا، وخوفاً من عقابه.

وحقيقته إظهار الافتقار إلى الله، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمةُ العبوديةِ، واستشعارُ الذلةِ البشرية، وفيه معنى الثناءِ على الله -عز وجل- وإضافةِ الجود والكرم إليه.

فضائل الدعاء:

للدعاء فضائل عظيمة، وثمرات جليلة، وأسرار بديعة منها:

١- الدعاءُ طاعةٌ لله، وامتثال لأمره، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر: ٦٠

٢- الدعاء عبادة، قال النبي ﷺ ((الدعاء هو العبادة)). رواه الترمذي.

٣- الدعاء سلامة من الكبر قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: ٦٠

٤- الدعاءُ أكرمُ شيءٍ على الله، قال النبي ﷺ: ((ليس شيءٌ أكرم على الله -عز وجل- من الدعـاء)). رواه أحمد والترمذي.

٥- الدعاء سبب لدفع غضب الله، قال النبي ﷺ: ((من لم يسألِ اللهَ يَغْضَبْ عليه)). رواه أحمدُ.

٦- الدعاء سبب لانشراح الصدر، وتفريج الهم، وزوال الغم، وتيسير الأمور.

٧- الدعاء دليل على التوكُّل على الله، فسرُّ التوكلِ وحقيقتُه هو اعتمادُ القلبِ على الله، وفعلُ الأسباب المأذون بها، وأعظمُ ما يتجلَّى هذا المعنى حالَ الدعاء؛ ذلك أن الداعيَ مستعينٌ بالله، مفوضٌ أمرَهُ إليه وحده.

٨- الدعاء وسيلة لكِبَرِ النفس، وعلو الهمة؛ ذلك أن الداعيَ يأوي إلى ركن شديدٍ ينـزل به حاجاتِه، ويستعين به في كافّة أموره؛ وبهذا يتخلص مـن أَسْر الخلق، ورقِّهم، ومنَّتِهِم، ويقطعُ الطمعَ عما في أيديهم، وهذا هو عين عِزِّهِ، وفلاحِه.

قال بعض أهل العلم: (وكلّما قوي طمع العبد في فضل الله، ورحمته، لقضاء حاجته ودفع ضرورته؛ قويت عبوديتُه له، وحريته مما سواه؛ فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديتَه له فيأْسُهُ منه يوجب غنى قلبه) اهـ.

٩- الدعاء سلامة من العجز، ودليل على الكَياسة والعقل، قال النبي ﷺ: ((أعجز الناس من عجز من الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام)) رواه ابن حبان.

١٠- أن ثمرته مضمونة - بإذن الله - قال النبي ﷺ: ((ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل، أو كفّ عنه من سوء مثلَه؛ ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم)). رواه أحمد والترمذي.

شروط الدعاء :

للدعاء شروطٌ عديدةٌ (والشرط هو الذي يلزم من فقده فقد الشيء المشروط.) لا بد من توافرها ؛ كي يكون الدعاء مستجابًا مقبولًا عند الله .

فمن أهم تلك الشروط :

١- أن يكون الداعي عالمًا بأن الله وحده هو القادر على إجابة الدعاء.

٢- ألا يدعو إلا الله وحده ؛ لأن دعاء غير الله شرك.

٣-عدم الاستعجال.

٤- الدعاءُ بالخير ، وحسنُ الظنِّ بالله.

٥- حضورُ القلب.

٦- الدعاء بما شُرِعَ .

٧- إطابةُ المأكل.

٨- تجنُّبُ الاعتداءِ في الدعاء(كل سؤال يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به، فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله).

٩- إظهار الافتقار والذلة، والاعتراف بالذنب والتقصير

آداب الدعاء :

هناك آداب يحسن توافرها عند الدعاء وهي :

١- الثناء على الله قبل الدعاءِ، والصلاة على النبي ﷺ.

٢- الإقرار بالذنب، والاعتراف بالخطيئة.

٣- التضرع والخشوع، والرغبة والرهبة.

٤- الجزم في الدعاء، والعزم في المسألة.

٥- الإلحاح بالدعاء.

٦- الدعاء في الشدة والرخاء.

٧- تجنب الدعاء على الأهل، والمال، والنفس.

٨- الدعاء ثلاثًا.

٩- استقبال القبلة.

١٠- الوضوء.

١١- خفض الصوت، والإسرار بالدعاء.

١٢- ألا يتكلف السجع (وهو توافق الحروف الأخيرة في مواضع الوقف في النثر دون الشعر).

أوقات وأماكن، وأحوال، وأوضاع يستجاب فيها الدعاء:

١- ليلة القدر.

٢- الدعاء في جوف الليل ووقت السحر.

٣- بين الأذان والإقامة.

٤- عند النداء للصلوات المكتوبة.

٥- عند نزول الغيث(المطر).

٦- الساعة التي في يوم الجمعة.

٧- عند شرب ماء زمزم.

٨- في السجود.

٩- الدعاء يوم عرفة.

١٠- عقب الوضوء.

١١-الدعاء عند الصفا.

١٢- عند صياح الديكة.

١٣-عند دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب.

١٤- دعوة المظلوم.

١٥- دعوة المسافر.

١٦- دعاء الوالد لولده.

١٧- دعوة الصائم.

أسباب إجابة الدعاء:

١- الإخلاص لله -عز وجل- حال الدعاء.

٢- قوة الرجاء.

٣- التوبة ورد المظالم.

٤- حضور القلب وخشوعه عند الدعاء.

٥- تحري الأوقات ، والأوضاع، والأماكن التي هي مظان إجابة الدعاء.

٦- كثرةُ الأعمالِ الصالحةِ.

السير إلى الله

إن المؤمن في هذه الحياة سائر في طريق ، وطريقه هذا له مقصود وغاية ، وهو طاعة ذي الجلال ورضا الكبير المتعال ، متحققاً ومتيقناً بأنه عبدٌ لله- تبارك وتعالى- وأنَّ واجبَه في هذه الحياة تحقيق العبودية لله -عز وجل- ، فهو يسير في هذه الحياة ليعرف ربه ومولاه ، وليتعرف عليه -جلّ وعلا- بما تعرف به على عباده من أسمائه الحسنى وصفاته العليا ودلائل جلاله وكماله وعظمته وكبريائه، وأنه الرب العظيم الخالق الجليل الذي بيده أزمَّة الأمور ومقاليد السماوات والأرض، ثم يُتبِع المؤمن السائر هذه المعرفة بتحقيق العبودية لله فيخلص دينه كله لله ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣

وطريق المؤمن السائر هذا له مبدأ ونهاية ؛ أما مبدأه فهو هذه الحياة ، لا يزال المؤمن سائراً في حياته إلى الله -عز وجل- من منزلةٍ إلى منزلة ومن عبوديةٍ إلى عبودية ومن طاعةٍ إلى طاعة إلى أن يأتي الأجل وتحضر المنية ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ الحجر: ٩٩ . أما منتهى السير فهو جنة ﴿ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾

آل عمران: ١٣٣

ففي الجنة محط الرحال ومرتع الآمال، وفيها هناءة السائرين ولذتهم أجمعين في نعيمٍ مقيم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وإذا دخل أهل الجنة الجنة،

قال الله -جل وعلا- لهم - كما جاء في صحيح مسلم - : ((تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ- عَزَّ وَجَلَّ -)) نسأل الله الكريم لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .

وهذا السير لابد فيه من محركات ليسير المؤمن وليقوى سَيْره إلى الله -عز وجل- ، وقد بيَّن العلماء -رحمهم الله تعالى- أن لهذا السير محركات ثلاث؛ وهي في قلب المؤمن الصادق ألا وهي : المحبة ، والرجاء ، والخوف. فهذه الأمور الثلاث محركات للقلوب ؛ أما المحبة فهي التي تجعل المسلم يتجه إلى الصراط المستقيم، ويعزم على السير فيه وتكون قوة سيره بحسب قوة هذه المحبة ، وأما الرجاء فهو القائد للمؤمن في سيره ، وأما الخوف فهو الزاجر . وقد جمع الله جل وعلا هذه الأمور الثلاث في قوله سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ الإسراء: ٥٧

وللسير أعمال لابد منها ولابد من تحقيقها ولابد من عناية من السائرين بها وهي : فرائض الإسلام وواجبات الدين والقيام بأنواع العبودية لله -جل وعلا- مع التجنب للآثام والبعد عن الحرام خوفاً من عقاب الملك العلام سبحانه .

ولم يَتَقَرَّبْ مُتَقِّرِبٌ إلى الله بشيء أحب إلى الله -عز وجل- من فرائض الدين وواجباته ، ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال : ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ))

وفي طريق السائرين عقبات لابد من تخطيها ،

ومن لم يتخطَّ تلك العقبات أصبحت عائقاً له في سيره إلى الله -جل وعلا- ، ولهذا كان متأكداً على كل سائرٍ يرجو رحمة الله تبارك وتعالى ويخاف عقابه أن يحذر ويحاذر من عقبات الطريق ومعوقات الطريق التي تواجه الإنسان في سيره وطريقه ، وهي تتلخص في عقبات ثلاث ألا وهي:

١- الشرك بالله ؛ ويكون التخلص من هذه العقبة بإخلاص الدين لله -جل وعلا-.

٢- البدعة؛ ويكون التخلص منها بتجريد المتابعة للرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام -.

٣- المعاصي بأنواعها ؛ ويكون التخلص منها بالتوبة مما وقع فيه من الذنوب, وبالعزم على البعد عنها, والحذر من الوقوع فيها .

وطريق السائرين إلى الله -عز وجل- فيه لصوص وقُطّاع طريق يقطعون على السائر طريقه ويشوِّشون عليه في سيره فيجب عليه أن يكون على حذرٍ منهم ، وأعظم قُطّاع الطريق الشيطان الرجيم – أعاذنا الله -تبارك وتعالى- جميعاً منه ولهذا جاءت الآيات الكثيرات في كتاب الله -جل وعلا- بالتحذير من هذا العدو ووجوب اتخاذه عدوا ، وبيان أنه يأتي الإنسان من جهاته كلها ؛ من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، وأنه قاعد له بكل صراط لصدِّه عن دين الله ولإبعاده عن طاعة الله ، قال ﷺ :((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ))، أي بكل طريق يسير فيه يبتغي رحمة الله ويرجو ثواب الله يقعد له الشيطان لصده وإبعاده وصرفه عن طاعة الله . وكذلكم من قطاع الطريق أعوان الشيطان وأحزابه من شياطين الإنس والجن وما أكثرهم، لا كثَّرهم الله وأعاذنا والمسلمين من شرورهم أجمعين .

وهذا الطريق لا يصلح فيه التباطؤ والكسل, بل الواجب فيه المسارعة للخيرات واغتنام الأوقات والمنافسة في الطاعات, ليفوز السائر فوزاً عظيما ويغتنم المواسم والأوقات الفاضلة ليجدَّ, ويجتهد في طاعة الله وعبادة الله -تبارك وتعالى- لتكون له هذه الحياة مغنماً وإلى الخيرات مرتقىً وسلَّما .

ولكل عبد سائر في هذه الحياة أمدٌ لا يتعداه ووقت لا يتجاوزه ؛ فإذا جاء الأجل لا يتقدم عنه العبد ساعة ولا يتأخر ، والسعيد من عباد الله من يُعِدّ لذلك اليوم عدته ويهيئ له جهازه بالطاعة والعبودية لله -تبارك وتعالى- .

العمل الصَّالح

العمل الصالح: هو كل عمل أو فعل أو قول يرضاه الله سبحانه وتعالى من عباده ويقوم به العبد بقصد التقرُّب به إلى الله -سبحانه وتعالى-، وقيل: هو العمل بما جاء به القرآن الكريم، والسنة المطهّرة، وجميع ما يوافق شرع الله -سبحانه وتعالى-

وهو المتجر الرابح والمغنم الراجح ، قال الله -تبارك وتعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾ فاطر: ٢٩ - ٣٠

وهو مجلبةٌ للسعادة مطردةٌ للشقاء،قال الله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾النحل: ٩٧

وهو خير مرتجى وأفضل مدَّخر ، قال الله -تبارك وتعالى- : ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴾ الروم:٤٤، أي يهيِّئون ويعدُّون ويقدِّمون .

وهو الموجب للفوز بالجنان ونيل رضا الرحمن ، قال الله -تبارك وتعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾ البينة: ٧ - ٨

وهو مع القلب هو محل نظر الرب ونيل ثوابه، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال : ((إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى

صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)).

وهو خير الرفقاء وأفضل الأصحاب، ففي الصحيحين عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: ((يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاَثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ؛ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ)). قيل لبعض الحكماء من أبرُّ الأصحاب؟ فقال: العمل الصالح.

ولنتأمل في هذا الرفيق البار في يوم الوحشة يوم يقدِم على صاحبه عندما يكون في قبره؛ ففي المسند عن البراء بن عازب في حديثه الطويل عن النبي ﷺ في ذكر حال الميت عندما يُدرج في قبره فذكر ﷺ العبد المؤمن فقال: ((وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ؛ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؛ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ)).

ألا ما أهنأه يومئذٍ بعمله، وأقرَّ عينه برفيقه وصاحبه، يوم يخسر المبطلون ويندم المفرطون.

شروط العمل الصالح:

هذا وإن العمل لايقبل ولايكون صالحاً إلا بشرطين:

الأول: إخلاص النية لله تعالى: وهو أن يكون مراد العبد بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله تعالى دون غيره.

الثاني: موافقة الشرع الذي أمر الله تعالى أن لا يعبد إلا به، وذلك يكون بمتابعة النبي ﷺ فيما جاء به، وترك مخالفته، وعدم إحداث عبادة جديدة أو هيئة جديدة في العبادة لم تثبت عنه عليه الصلاة والسلام.

والدليل على هذين الشرطين قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ الكهف: ١١٠

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي ثوابه وجزاءه الصالح ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ أي ما كان موافقا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له وهذان ركنا العمل المتقبل لابد أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله ﷺ.ا.هـ.

bq3a.net

نجوم السماء

كل مسلم عاقل يعلم أن الصحابة الكرام – رضي الله تعالى عنهم أجمعين – هم أفضل الخلق بعد الرسل والأنبياء، وأن قلوبهم أنقى وأتقى قلوباً بعد قلب النبي ﷺ وقلوب الرسل والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ، وهم أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً ، وأتقاهم لله – تعالى – ، وأكثرهم خشية لله تعالى، وأفضل منا عند الله – عز وجل – .

ومن أصول أهل السنة والجماعة حُبُّ صحابة رسول الله ﷺ لأنهم صحابة خاتم الرسل والأنبياء، وهم نقلة التشريع ، ومن الذين ذكروا تلك الأصول العلامة أبو جعفر الطحاوي – رحمه الله تعالى – بقوله : (ونحبُ أصحابَ رسول اللهِ ﷺ ، ولا نُفْرِطُ في حبّ أحدٍ منهم، ولا نتبرأُ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكُرُهم، ولا نذكرُهم إلا بخير وحبُّهم دين وإيمانٌ وإحسان وبغضُهم كفر ونفاقٌ وطغيان. ونثبتُ الخلافةَ بعد رسولِ الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديقِ –رضي الله عنه–، تفضيلاً له وتقديمًا على جميع الأمة. ثم لعمرَ بن الخطابِ –رضي الله عنه–، ثم لعثمانَ ابن عفان –رضي الله عنه–، ثم لعليّ بن أبي طالبٍ –رضي الله عنهُ– وهمُ الخلفاء الراشدون والأئمةُ المهتدون. وإن العشرةَ الذين سماهم رسولُ الله ﷺ وبشرَّهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة على ما شهِد لهم رسولُ الله ﷺ ، وقولُه الحقُّ، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبيرُ، وسعدٌ، وسعيدٌ، وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ، وأبو عبيدةَ بن الجرَّاح، وهو أمينُ هذهِ الأمة –رضي اللهُ عنهم أجمعين–.

ومن أحسنَ القولَ في أصحاب رسولِ الله ﷺ وأزواجِه الطاهراتِ من كل دنَسٍ وذرياتِه المقدسينَ من كلّ رجسٍ فقد برئَ منَ النفاقِ. وعلماءُ السلف من السابقينَ ومنَ بعدَهم من التابعينَ أهلُ الخيرِ والأثرَ، وأهلُ الفقهِ والنظرِ، لا يُذكرونَ إلا بالجميلِ ومن ذكرهُم بسوءٍ فهو على غيرِ السبيل).

وقد ذكر فضلهم -سبحانه وتعالى- في كتابه العظيم في مواضع عديدة منها قوله تعالى:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ الفتح: ٢٩، ويكفيهم ثناء الله عليهم , ورضاه عنهم ثم قال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾

من هذه لبيان الجنس، ﴿مَّغۡفِرَةٗ﴾ أي: لذنوبهم. ﴿ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ أي: ثواباً جزيلاً ورزقاً كريماً ووعد الله حق وصدق , لا يخلف ولا يبدل ، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم , ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة ، رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم ، وقد فعل). اهـ

والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، فعن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال: قال رسول الله ﷺ ((لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ)).

وجاء في صحيح الإمام مسلم – رحمه الله تعالى – عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ثُمّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ فَجَلَسْنَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ:((مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟)) قُلْنَا يَا رَسُولَ الله صَلّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ قَالَ: ((أَحْسَنْتُمْ» أَوْ «أَصَبْتُمْ)) قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السّمَاءِ وَكَانَ كَثِيرًا مِمّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السّمَاءِ فَقَالَ: ((النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمّتِي مَا يُوعَدُونَ)).

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - : (معنى الحديث أن النجوم مادامت باقية فالسماء باقية ، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت ، وقوله ﷺ : ((وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ)) أي : من الفتن والحروب , وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً وقد وقع كل ذلك.

قوله ﷺ: ((وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ)) معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه ، وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته ﷺ).

وختاماً .. فإن الصحابة – رضي الله تعالى عنهم أجمعين – نجوم وزينة سماء هذه الأمة ، والشرف كل الشرف في اتباعهم ، وبذل كل غالٍ من أجل الذب عنهم وحفظ مكانتهم ونشر محبتهم، وقد وردت الأحاديث الكثيرة التي بلغت عنان السماء في فضلهم لأنهم في الحقيقة حلقة الوصل بين الأمة وبين نبيها ﷺ فإذا قطعت هذه الحلقة بأي طريقة يعني قطع صلة الأمة بنبيها ﷺ ، وبالتالي فلا يجوز أن يناقش في عدالة الصحابة – رضي الله تعالى عنهم أجمعين - بعد عدالة الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ لهم ، ومن فضله تعالى أن منَّ على الصحابة – رضي الله تعالى عنهم أجمعين - بالصحبة ، فلا يجوز لغيرهم أن يقيس نفسه بهم وأن يجعل من نفسه حكماً عليهم .

حرمة المسلم

المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وقد حرم الإسلام كل ما يخدش هذه العلاقة الوطيدة، ورتب على تجاوز تلك الحُرُمَات العقاب الأليم، والعذاب الشديد.. والمسلم له حرمته عند الله، ومكانته بين المسلمين، فلا يحل لأحدٍ أن يَحُط من قدره، ولا يهينه بأي وجه من الوجوه، أو أن يفعل ما يكون سبباً في انتهاك حرمته ..

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((لا تَحَاسَدُوا، وَلا تَنَاجَشُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَاناً. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، وَلا يَخْذُلُهُ، وَلا يَكْذِبُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

لقد حرَّم الإسلام الاعتداء على المسلم في أموره كلها، وذلك يشمل:

١. **حرمة دمه:** وهذا يعني أن دم المسلم على المسلم حرام، ولا يحل دمه إلا بإحدى ثلاث، فعنْ ابنِ مسعودٍ -رَضِي اللهُ عَنْهُ- قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: الثَّيِّبِ الزَّانِي، وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ)). رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

والمسلم أعظم عند الله من الدنيا كلها، قال رسول الله ﷺ : ((لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ)). رواه الترمذي، ونظر ابن عمر إلى الكعبة فقال: (مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ). رواه الترمذي.

٢. حرمة عِرْضِهِ: وذلك يتضمن عدة أمور منها: حرمة الحقد، والحسد، والسب، والقذف، والغيبة، والنميمة، وغير ذلك، فهذه كلها مما حرمها الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ النور: ٢٣ . وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الحجرات:١١

واجتناب سوء الظن والغيبة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ الحجرات: ١٢

وقال رسول الله ﷺ في الحديث السابق: ((كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)).

والعِرْضُ يشمل -أيضاً- حفظ المسلم في أهله، فلا ينتهك عرضه بالوقوع في الحرام كفعل الفاحشة أو موجباتها؛ ولهذا حرم الزنا لما فيه من التعدي على أعراض الغير، مع اختلاط الأنساب، وكذا الأمراض القاتلة المنتشرة اليوم، والتمزق الإنساني المشين.

٣. حرمة ماله: فقد حرم الإسلام التعدي على مال المسلم بسرقةٍ أو غَصْبٍ، أو أكلِه بالباطل: كالربا؛ وغير ذلك، كما قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ النساء: ٢٩ ، وقال الله تعالى عن الربا: ﴿ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٧٩ ، فسمى الربا ظلماً؛ لأن فيه ضرراً على المأخوذ منه.. وكذا حرم الإسلام البيع على بيع الغير.. كأن يبع سلعة بسعر كذا، فيأتيه آخر يقول: أبيعك مثلها بأرخص منها، أو يبيع الرجل لآخر سلعة. وذلك بالاتفاق بينهما؛ ثم ينقض البيع دون اتفاق، فيبيعها لآخر، وقد سبق في الحديث: ((وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ)).. وحرم النَّجْش، وهو: رفع ثمن السلعة لا لأجل شرائها؛ ولكن لمخادعة الناس، كما يحصل اليوم في بعض الأماكن، ولهذا قال ﷺ : ((وَلا تَنَاجَشُوا)). وكذا حرم الغش لما فيه من الخداع، وأكل الأموال بالباطل، فقد ثبت أن النبي ﷺ جاء إلى السوق فوجد رجلاً يبيع طعاماً فوضع الرسول ﷺ يده أسفل الطعام فوجده مبتلاً فقال: ((مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟)) قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: ((أَفَلَا جَعَلْتَهُ

فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)). رواه مسلم .. وحرم التدليس وأكل أموال العقارات ومحاولة الزيادة فيها، فقال: ((من ظلم قِيد شِبْرٍ من الأرض طُوِّقَه من سبع أَرَضِين)). رواه البخاري ومسلم.. وحرم المماطلة في قضاء الديون؛ إذا كان المدين غنياً، فقال ﷺ: ((مَطْلُ الغنيِّ ظُلمٌ)). رواه البخاري، ومعناه: أن تأخير الغني سداد الدين لصاحبه ظلم.. وغير ذلك من المحرمات التي لا يجوز بها أكل مال المسلم..

ولما خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع بيَّن هذا الأمر تبييناً جلياً؛ فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: ((أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟)) قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟)) قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((أَيُّ شَهْرٍ هَذَا)) ؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: ((أَلَيْسَ ذُو الحَجَّةِ؟)) قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((أَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟)) قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الحَرَامِ؟)) قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)). رواه البخاري ومسلم.. وهذه من آخر الوصايا النبوية الجامعة، من جوامع كلمه التي أوتيها ﷺ؛ وقد جمعت الحرمات كلها من كبار الأمور وصغارها: حرمة الدم والعرض والمال..

أخوة الإسلام

إن أقوى الروابط بين الناس الأخوَّة الإسلامية، فإنها تجمع بين المسلمين، وإن كانوا من أماكن متفرقة، وبلاد بعيدة، وجنسيات مختلفة، وقبائل شتى، والمفهوم الشرعي للأخوة الإسلامية: هو التحابّ والتراحم والتناصر على مقتضى الإيمان الذي شرعه الله, ومن هذا المنطلق قال النبي ﷺ: ((مَنْ أَحبَّ لله، وَأَبْغَضَ لله، وَأَعْطَى لله، وَمَنَعَ لله فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ)) رواه أبوداود.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠

وقال النبي ﷺ: (ألَا لَا فَضلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسوَدَ، وَلَا أَسوَدَ عَلَى أَحمَرَ إِلَّا بِالتَّقوَى). رواه أحمد.

والأخوة الإسلامية لها حقوق وواجبات، منها:

أولًا: أن يكون المسلم نصيرًا، ومعينًا لأخيه المسلم، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ المائدة: ٢

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: ٧١، وقال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ الأنفال: ٧٢

روى البخاري في صحيحه من حديث أنس- رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: ((انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا)).

ثانيًا: أن لا يظلم المسلم أخاه بأيِّ نوعٍ من أنواع الظلم وإن قلَّ، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه - أن النبي ﷺ

قال في خطبة الوداع: ((أَلَا إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا)).

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)). وَلَا يَخْذُلُهُ: (أي لا يترك نصرته).

ثالثًا: من لوازم الأخوّة الإسلامية أن يرحم بعضهم بعضًا، ويحب بعضهم بعضًا، وقد ضرب النبي ﷺ لذلك مثلًا في غاية البيان على أن الأخوة الإسلامية لا نظير لها في جميع العلاقات التي تربط الناس بعضهم ببعض.

ففي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير- رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: ((الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)).

رابعًا: النصح: فينصح المسلم أخاه المسلم في أمر دينه ودنياه، ومن ذلك: تعليم الجاهل والمشورة عليه بالخير، والنصح له في ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أعظم أبوابه الدعوة إلى التوحيد، والنهي عن الشرك.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث جرير- رضي الله عنه - قال: ((بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)). وهذه النصيحة هي التواصي بالحق الذي جاء في سورة العصر إذ يقول تعالى:

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ العصر: ١-٣

خامسًا: رد السلام عليه، وإجابة دعوته، وتشميته إذا عطس، وزيارته عند المرض، واتباع جنازته، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ))، قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ((إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ)).

سادسًا: أن يحب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)).

وقد جاء في الكتاب والسنة الحث على الأمور التي تقوي الروابط بين المسلمين، وتجلب المودة،

وتزيل الأحقاد، وتذهب سخائم النفوس، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: ((لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)).

وروى الترمذي في سننه من حديث المقدام بن معدي كرب- رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: ((إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ إِيَّاهُ)).

وروى مسلم في صحيحه من حديث صفوان بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: ((دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ)).

وفي التنزيل المبارك: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ الحشر: ١٠

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

قال بعض العلماء: (المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء، والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فَلأَتبَاعِهِ من المواساة بحسب اتِّبَاعِهِم لَهُ).

المـــرأة في الإسلام

حَفِظَ الإسْلامُ للمَرْأةِ حُقُوقَها، وأكْرمَهَا أعْظَمَ إكْرَامٍ، فجعلها درةً مصونةً، ولؤلؤةً مكنونةً، بدءاً من ولادتها فقال ﷺ: ((لا تَكْرَهُوا الْبَنَاتِ فَإِنَّهُنَّ الْمُؤْنِسَاتُ الْغَالِيَاتُ)). رواه أحمد، وذلك بعد أن كان اليوم الذي تُوْلَدُ فيه يوما تَسّودُ فيه الوجوه، وكأنما بُشِّرَ أبوها بأعظم مكروه، كما صور الله تعالى هذه الحالة بقوله سبحانه:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

النحل: ٥٨ - ٥٩

فإن نجت هذه الطفلة البريئة من وأدها في مهدها، وفلتت من قبرها: عاشت ذليلة محتقرة، تُوَرَثُ وتُبَاعُ، وفي خِضَّمِ هذه الظلمات يسطع فجر الإسلام فتدوي في المسامع لأول مرة:

﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ النساء:٧،

﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ النساء:٣٢

فرفرفت رايات العدالة خفاقة.

ثم أكرمها طفلة، وَرَغَّبَ في حسن تربيتها، فقال ﷺ: ((مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)). رواه ابن ماجه.

ثم أكرمها زوجة، فقال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ النساء:١٩، وقال تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة: ٢٢٨

ثم **كان أعظم تكريم لها وهي أم،** فقال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ الأحقاف:١٥، وقال ﷺ: ((الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّةُ)). رواه ابن ماجه، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: (أُمُّكَ). قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ). قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ). قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ أَبُوكَ). متفق عليه.

وجاء رجل وهو يطوف وأمه على ظهره ويقول:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُذَلَّلُ ** إِنْ أُذْعِرَتْ رِكَابُهَا لَمْ أُذْعَرِ

ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا؟

قَالَ: (لا وَلا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ)، (أي ولا بطلقة من طلقات ألم مخاض الولادة .

وقدْ تجَلّىَ ذلك التكريم في أعظم مجمع وآخر لقاء للنبي ﷺ بمجموع أمته، وذلك في الحجِّ ، فَقَدِ اهتمَّ النبيُّ ﷺ بالمرْأةِ :-

❖ فبيّنَ ما يَختصُّ بِهَا مِنْ أحكَام ، وأشْرَكَهَا مَعَ الرَّجُلِ في أكْثرِ المَنَاسِكِ العظام .

❖ وخَفَّفَ عَنْهَا بَعضَ ما يَقْتَضِيهِ ضَعْفُهَا، كالرُّخْصَةِ في النَّفْرَةِ مِن مُزدلِفةَ ليْلاً قَبْلَ الزِّحامِ ، والرَّمْيِ قَبْلَهُم ، والإنَابَةِ في الرَّمْي إنْ عَجَزَتْ عَنهُ .

❖ كَمَا حَفِظَ أُنُوثَتَها في مَواطِنِ الرِّجالِ ، فلَمْ يأمرْهَا بالرَّمَلِ في الطّوافِ والسعي ، وأبَاحَ لَهَا السَّدْلَ عَلَى وَجْهِهَا لِتَغْطِيته عِنْدَ الاخْتِلاطِ .

❖ ورخّصَ لَهَا كَذَلِكَ في ترْكِ طَوافِ الوَداعِ حَالَ الحيْضِ .

❖ ثُمّ خَتمَ النبيُّ ﷺ كُلَّ ذلكَ الاهْتِمامِ في خُطبةِ عَرَفَةَ حَيْثُ أوْصَى بالنِّساءِ ورفَعَ شأنَهُنَّ، وأظْهَرَ قدْرَهُنّ بما يتَفرَّدُ به هَذا الوَحْيُ العَظيمُ مِنْ إعطاءِ الحُقوقِ لكَافّةِ الأنامِ ، وتنْظِيمِ الأحْكامِ بغَايةِ مِنَ الدّقّةِ والإحْكامِ، كُلُّ ذلكَ حقيقةً لا ادّعَاءً ، وحفظاً لَهَا لا إغْوَاء ، فقال ﷺ:((اتّقُوا اللهَ في النّساءِ ، فإنَّكُمْ أخَذْتمُوهُنَّ بأمانِ اللهِ ، واسْتَحْلَلْتُم فُرُوجَهُنَّ بكَلِمَةِ اللهِ .. ثُمّ قَالَ : ولَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ بالمعْرُوفِ)). رواه مسلم .

❖ ومن أعظمِ التشريفِ لهذه المرأةِ تخليدُ ذكرِها بتشريعِ السعي بين الصفا والمروة إحياءً لقصةِ هَاجَر . بل كلما شربتَ من زمزمَ تذكرت قدرَها ، وعظمتَ شأنَها .

❖ ومن عيونِ التاريخِ المشرقِ للمرأةِ ما قامت به المرأةُ الصالحةُ زبيدةُ زوجُ هارونَ الرشيدِ الملقبةُ بالستِّ المحجبةِ وأمةِ العزيزِ ، فقد بلغت الهمةَ العاليةَ ، وأنفقت الأموالَ الطائلةَ ، حينما عبَّدت طريقَ الحجاجِ من بغدادَ إلى مكةَ ، فأقامت المنازلَ والبركَ والآبارَ ، فسمي دربَ زبيدةَ أو طريقَ الجادةِ، ثم أجرت المياهَ إلى الحرمِ لتبقى آثارُها خالدةً إلى يومنا ، فأقيمت هناك ما يسمى بإدارةِ عينِ زبيدةَ .

هذه لمحة سريعة عن صور من إكرام الإسلام للمرأة، لا يمكن أن توجد في أي مجتمع من المجتمعات بدون الإسلام، بل الأعداء الذين جاءوا إلى بلاد المسلمين قد أقرُّوا بأنه لا يوجدُ دينٌ أكرم المرأةَ كما أكرمها الإسلامُ، ولا شريعةٌ أعزّت المرأة ورفعت من رأسها، وأعطتها كامل حقوقها كما فعل الإسلامُ.

منهج الإسلام في تربية الأولاد

الأبناء غِراس حياة، وقطوفُ أمل، وقرة عين الإنسان، هم بُناة الغد، وهم رجاله، ومفكّروه وسواعده، ودروع أمَّته، وحماة استقراره، وهم في الإسلام مستودَع أمانات الآباء، يحفظون الدِّين، وينقادون لرب العالمين؛ من أجل ذلك وجَّه الإسلام عنايته إلى تربيتهم؛ حتى يسعد بهم المجتمعُ، ويصعدوا هم بالمجتمع، فلقد شمِلتْ عناية الإسلام جميعَ جوانب حياة الفرد؛ لينمو نموًّا متكاملاً، نموًّا يشمل: جسمه وروحه، وخلقه وعقله، وبالمحافظة على هذا النمط العالي من التربية الراقية، يربَّى المواطن الصالح، الذي يعرف حقوقه وواجباته، ويبنى الفرد المسلم القوي، الذي يعيش بعقيدته الصحيحة، وعقله الواعي، وخلقه القوي.

ونحن - أمةَ الإسلام - إذا أردنا لأنفسنا عزًّا ومجدًا وسؤددًا، علينا أن نعود إلى جوهر ديننا، علينا أن نربي الأجيالَ المسلمة على نمطٍ من الرجولة الحقة، والإنسانية الكريمة، النمط الذي لمسناه في المسلمين الأُول، حيث كانوا: قوة في العقل، وقوة في الروح، وقوة في الخلق، وقوة في الجسم.

إننا لكي نربي الأبناء تربية عالية ومتكاملة؛

يجب أن نصوغهم صياغة تتفق مع ما نؤمن به من عقائدَ ومُثلٍ عليا كريمة، مستمدة من كتاب الله - عز وجل - ومن سنة رسوله ﷺ يقول أحد الكتّاب: أشهى ثمرات الحياة إلى الإنسان الأولاد، يَعرف ذلك من ذاق حلاوتهم، ومن ابتلي منهم بالحرمان، وبشدة مرارة الحرمان يعرف قدر نعمة الله بهم على الإنسان، وعلى الأولاد عمارة الأرض، وهي مقصود خلق الله للأكوان؛ قال - تعالى -:

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ الكهف: ٤٦

وقد تضرع إبراهيم إلى ربه أن يهبه الذرية، فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ الصافات: ١٠٠ - ١٠١

وتضرع زكريا - عليه السلام - فقال:

﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾

مريم: ٥ - ٦

ولقد صوَّر كثير من الأدباء والشعراء أحاسيسهم بحب الأولاد، وهذه الصور - على تنوُّعها وتلونها - تصدر عن عاطفة واحدة، وطبيعة واحدة، هي طبيعة الحب الخالص، والود الصادق.

وقال أبو تمام:

وَإنما أَوْلاَدُنَا بَيْنَنا
أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ
لاَمْتَنَعَتْ عَيْني مِنَ الْغَمضِ

والولد ليس ملكًا لوالديه فقط؛ بل هو ملك للأمة، ويسعد والداه، وتسعد الأمة بمقدار توفيقهم في حسن تربيته، وإعداده لرسالته في الحياة إعدادًا جسميًّا وخلقيًّا وعقليًّا، وتربية الولد واجبٌ مشترك، بين الوالدين، وبين الدولة، في المنزل والمدرسة، إلا أن الواجب الأول، والعبء الأوفى، يقع على كاهل الوالدين، وعلى الوالدة بخاصة في حال الطفولة والصغر؛ لأن تأثُّرَ الولد بوالدته في هذه الحالة يكون قويًّا.

قال بعض العلماء: (والصبي أمانة عند والديه، وقلبُه الطاهر جوهرةٌ نفيسة ساذجة، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما يُنقش عليه، وقابل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّدَ الخير عَلِمه وعُلِّمه، ونشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكلُّ معلم له ومؤدِّب، وإن عُود الشر، وأُهمل إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه، الوالي له،

وقد قال الله – عز وجل –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ التحريم: ٦

وأعظم ما أرشد إليه الإسلام تربية الطفل على العقيدة الصحيحة، فأرشد الى ما يربطه بربه، ويحقق غاية خلقه حيث قال النبي الكريم ﷺ: لابن عباس وقد كان غلاما ((يَا غُلَامُ ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظْ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظْ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ الله وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ » رواه الترمذي وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وعند أحمد وغيره :

((احْفَظْ الله تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)) .فهذا الحديث أصل عظيم في تربية الطفل وتوجهه إلى العقيدة الصحيحة من تعلق القلب بالله، والالتفات إليه، وقطع الطمع والرجاء في ما عند الناس، وتفويض الأمر كله لله تعالى.

كما أرشد الإسلام إلى تعويد الطفل على الصلاة وحثه على المحافظة عليها؛ لأنها عمود الدين والصلة بين العبد وربه وهي من أعظم العبادات وأجلها قال ﷺ : ((مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)). رواه أبو داود. وكذلك أرشد الإسلام إلى قواعدَ عامةٍ لتربية الطفل جسميًّا وعلميًّا وخلقيًّا، فأرشد إلى ما يقوِّي جسمَه، ويشد عوده، بممارسة أنواع من الرياضة، كالمسابقة، والمصارعة، والرماية، والسباحة، وكان النبي ﷺ القدوة العملية في ذلك؛ فعن سَلَمَة بْنَ الْأَكْوَعِ –رَضِيَ الله عَنْه– ، قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ ، فَقَالَ : النَّبِيُّ ﷺ

((ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا ، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلَانٍ)) ، قَالَ : فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((مَا لَكُمْ لَا تَرْمُونَ))، قَالُوا : كَيْفَ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ)). رواه البخاري . وعن أبي هريرة – رضي الله عنه –

قال: بَيْنَا الحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِحِرَابِهِمْ، دَخلَ عُمَرُ فَأَهْوَى إِلَى الحَصَى فَحَصَبَهُمْ بِهَا، فَقَالَ: ((دَعْهُمْ يَا عُمَرُ)). رواه البخاري ومسلم،

وعن عمر - رضي الله عنه -:(علِّموا أولادكم السباحة، ومُرُوهم يثبوا على الخيل وثبًا).

ودعا الإسلام إلى تعليم الأولاد في تأكيد، فقال: ((طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ)) . رواه ابن ماجه، ولم يقصرهم على لون منه دون لون، إلا أنه يرى أن أولى العلوم بالتعليم هو العلم الديني؛ لأنه الوسيلة إلى السعادة في الدنيا والآخرة، وبتعاليم الدين تستقرُّ النفوس، وتطمئنُّ القلوب، وتسعى في شؤونها راضيةً، لا يبطرها نجاح، ولا يذلُّها فشل؛ لأنها تكل مصاير الأمور إلى الله، وجعل التعليم من حق الولد على والده، وكل من الذكر والأنثى يأخذ ما يلائمه ويعينه على رسالته ووظيفته، فللمرأة أن تأخذ منه ما يعدُّها أن تكون زوجًا صالحة، تُسرُّ زوجَها، وتحسن القيام على شؤون منزلها، وأمًّا صالحة تحسن تربية أطفالها، وتوجِّههم إلى حياة فاضلة سعيدة، وللرجل أن يأخذ منها ما يعده للرسالة التي يختارها لنفسه، ويعينه على تحصيل رزقه.

وأرشد الإسلام إلى قواعد عامة في الفضائل وآداب الاجتماع، هي أسمى ما تصل إليه الآداب في أرقى المجتمعات، تتمثَّل في آيات القرآن الكريم، وعمل الرسول ﷺ وعمل أصحابه، ودعا الآباءَ إلى أن يأخذوا أبناءهم بها؛ لينشئوهم جيلاً صالحًا يتحلى بالآداب والفضائل؛ لتسعد بهم الأسرة، وتسعد بهم الأمة، وتكون كما أرادها الله خيرَ أمة أخرجت للناس؛ قال تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ لقمان: ١٤ - ١٩

وقال - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ النور: ٥٨، في هذه الآية يرشد الله الآباء إلى أن يعوِّدوا أطفالَهم الاستئذان للدخول عليهم في أوقات ثلاثة، هي مظانُّ الراحة، وعدم التقيد بلياقة في لبس أو جلوس، ومظان أن ترفع الكلفة فيها بين الرجل وأهله؛ حتى لا يطَّلع الطفل على ما لا ينبغي أن يطلع عليه في هذه الأوقات، وهي: قبل صلاة الفجر، وعند الراحة في الظهر، ومن بعد صلاة العشاء.

وعن عمر بن أبي سلمة أنه كان غلامًا صغيرًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يده تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ إذا أكل - أي: تتحرك في الطبق دون انتظام - فقال رسول الله ﷺ: ((يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)). رواه البخاري ومسلم، إلى آداب كثيرة استفاضت بها السنة، وثبتت بالنقل الصحيح عن الصحابة.

وأرشد الإسلام إلى التلطُّف بالأبناء في التربية والتوجيه؛ حتى لا ينفروا منها، ولا يتبرموا بها، ولتنغرس في نفوسهم في فيض من العطف الأبوي الخالص، وعن النبي ﷺ: ((إِذَا رَآهَا-أي فاطمة رضي الله عنها- قَدْ أَقْبَلَتْ، رَحَّبَ بِهَا، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا، فَقَبَّلَهَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَا حَتَّى يُجْلِسَهَا فِي مَكَانِهِ)). رواه النسائي وقد جاءه أعرابي فقال: أتقبِّلون الصبيان، فما نقبِّلهم؟ فقال له: ((أَوَأملك أنْ نزع الله من قلبك الرحمةَ؟)). رواه البخاري.

وعن عن أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ بن سعيد – رضي الله عنهما – قالت: أتيت رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – مع أبي، وعليَّ قميص أخضر، فقال رسول الله ﷺ: ((سنه سنه))، وهي بالحبشية: حسنة، قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزجرني أبي، فقال رسول الله: ((دعها))، ثم قال: ((أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي)) -يعني يدعو لها أن تبلى ثيابها فيطول عمرها-. رواه البخاري.

وندب الإسلام إلى وجوب العدل بين الأولاد في العطاء، حتى يَنشؤوا متحابِّين متعاونين، وأنكر أن يميز بين البنين والبنات؛ حتى لا يحملهم التمايز على عقوق الآباء وجفوتهم.

بهذه التعاليم يدعو الإسلام الآباء أن يأخذوا أبناءهم ليسعدوا وتسعد بهم الأمة، وهذه السعادة غاية ما يهدف إليه الإسلام.

الـــرزق والأسباب الجالبة له

شُغل بعض الناس بطلب الرزق، وبالغ البعض في بذل الأسباب المشروعة وغير المشروعة، وتشاغلوا عما خلقوا من أجله. قال جلّ في علاه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦

وعبادة الله قد تكون في طلب الرزق شريطة أن تكون الأسباب مشروعة والوسائل مباحة.

قال تعالى : ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ الملك: ١٥ , وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ الجمعة: ١٠

وقد قال ﷺ : ((... اللّهُمَّ لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما مَنَعْتَ ...)). رواه مسلم

وقد تكفّل الحقُّ - سبحانه - للإنسانِ برزقِهِ، و جعلَ للرزقِ أسباباً، وكُلُّ ما على الإنسانِ هو أنْ يأخذَ بهذه الأسبابِ ثم لا يشغلُ بالَهُ همّاً في موضوعِهِ، ولا يظنُّ أنَّ سَعْيَه هو مصدرُ الرِّزقِ، لأنّ السعيَ سَبَبٌ، والرِّزقُ من الله، وما على الإنسانِ إلا أنْ يتحرَّى الأسبابَ، فإنْ أبطأ رزقُه فلْيُرِحْ نفسَه؛ لأنَّه لا يعرفُ عنوانَه، أمّا الرِّزقُ فيعرفُ عنوانَ الإنسانِ، وسوف يَأتيه يَطرقُ عليه البابَ.

قال تعالى:﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ الذاريات: ٢٢ - ٢٣

قال الحسن البصري-رحمه الله- : (كثيراً ما وجدنا من طلب الآخرة وأتته الدنيا، ولكننا لم نجد من طلب الدنيا وأتته الآخرة) .

عَنْ جابرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ ﷺ ((لَوْ أَنَّ ابْنَ آدمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهرَبُ مِنَ الْمَوْتِ؛ لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ)). رواه أبو نعيم.

فلو وَعَى الإنسانُ هذه الحقيقةَ لطابتْ نفسُه وسكنَ قلبُه ولم تذهبْ حياتُه حسراتٍ على فواتِ نصيبٍ من الدُّنيا. فإنْ أُعطِيَ بعدَ أخذِ الأسبابِ شَكَرَ، وإنْ مُنِعَ حَمِدَ اللهَ وصَبَرَ.

ولعلنا نشير إلى بعض الأسباب المشروعة الجالبة للرزق.

الأسباب المشروعة الجالبة للرزق:

١ - تحقيق التوحيد:

قال تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ الأعراف: ٩٦

٢- الصلاة وأمر الأهل بها:

قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ طه: ١٣٢،

قال سفيان الثوري :في قوله:﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ قال: (لا نكلفك الطلب) . يقول أحد السلف :

(ما افتقر ولا احتاج للبشر من عمل بهذه الآية).

٣ - تقوى الله -عز وجل-:

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ الطلاق: ٢ - ٣

٤ – الاستغفار:

قال تعالى :﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ نوح: ١٠-١٢

وقال : النبي ﷺ: ((مَن أكثر الاستغفار جعل الله له من كل همَّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب)) رواه أحمد .

٥ - التوكل على الله:

قال تعالى :﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ الطلاق: ٣

و قال النبي ﷺ: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُوا خِمَاصاً وَتَرُوْحُ بِطَاناً)). رواه الترمذي.

٦ - صلة الرحم:

قال النبي ﷺ : ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ)). رواه البخاري.

٧ - الإنفاق (الصدقة):

قال تعالى:﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ سبأ: ٣٩

٨ - المتابعة بين الحج والعمرة:

قال النبي ﷺ : ((تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ)). رواه الترمذي.

٩ - الزواج:

قال تعالى:﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ النور: ٣٢

وكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول: (عجباً لمن لم يلتمس الغنى في النكاح، والله يقول:﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ ﴾

النور:٣٢

١٠ – الدعاء:

قال النبي ﷺ لأبي أمامة-رضي الله عنه: ((ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن أذهب الله همك وقضى دينك؟)) قال: بلى يا رسول الله، قال: «قل إذا أصبحت وأمسيت: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ)) قَالَ: (فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي).

رواه أبو داود

١١ - شكر النعم

قال تعالى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ إبراهيم: ٧

قال عمر بن عبدالعزيز-رحمه الله-:(قيّدوا نعم الله بشكر الله، فالشكر قيد النعم).

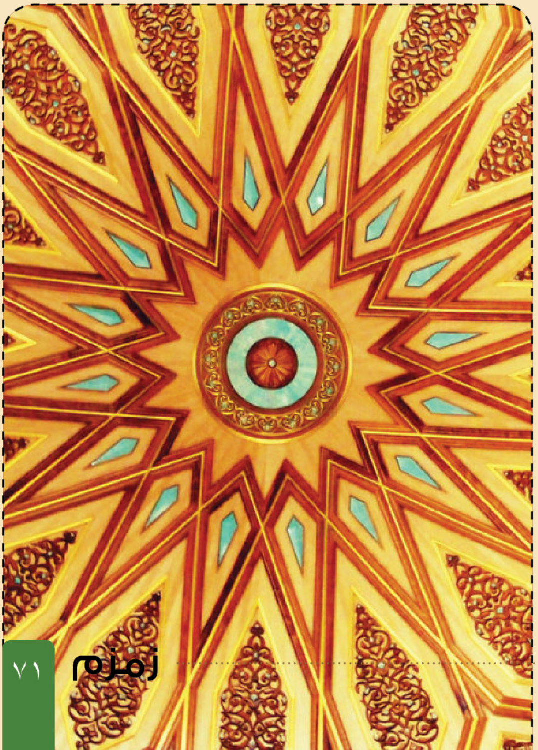

الابتلاء

إنَّ هذه الحياة الدنيا دارُ امتحان ومَيْدانُ ابتلاء، وما من عبد في هذه الحياة إلا وهو مبتلى ثم إلى الله -جل شأنه- المرجع والمآب ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ النجم: ٣١، يقول الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٖ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةٗۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٥

والابتلاء في هذه الحياةِ الدنيا تارة يكون بالرخاء والنعمة، وتارة يكون بالشدة والمصيبة، تارة يكون بالصحة وتارة يكون بالمرض، تارة يكون بالغنى، وتارة يكون بالفقر ، فالمؤمن عرضة للبلاء في هذين البابين : باب الشدة وباب الرخاء . وهو من خيرٍ إلى خير في كل ابتلاءاته ، ولهذا ثبت في المسند من حديث أنس -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال : ((عَجَبًا لِلْمُؤْمِنِ !! لَا يَقْضِي الله لَهُ شَيْئًا إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ))

وقوله : ((شَيْئًا)) يتناول كل ابتلاء سواء كان شدة أو كان رخاء ، والمؤمن في كل ابتلاءاته من خَيْرٍ إلى خَيْرٍ ؛ وذلك أن المؤمن الموفق إذا ابتلاه الله جل وعلا بالشدة والعسر ، والمرض والفقر ، ونحو ذلك من الابتلاءات تلقاها بالصبر ؛ فيفوز في هذا النوع من الابتلاء بثواب الصابرين ، وإذا ابتلاه الله جل وعلا بالرخاء واليسر ، والصحة والعافية ، والغنى والسعة ؛ فإنه في هذا النوع من الابتلاء يكون شاكرا لله -جل شأنه- فيفوز بثواب الشاكرين ، يوضح ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث صهيب بن سنان -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال : ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ !! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)) .

فهو في مقام الضراء يفوز بثواب الصابرين ، وفي مقام السَّعَة والرخاء يفوز بثواب الشاكرين؛ متقلبًا في هذه الابتلاءات بين صبر وشكر ، وقد قال الله تعالى في أربعة مواضع من القرآن الكريم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

في سور:

سبأ: آية١٩، إبراهيم : آية٥، لقمان : آية٣١، الشورى:آية ٣٣، فذكر جل شأنه هذين المقامين العظيمين مقام الصبر على البلاء ، ومقام الشكر على النعماء.

وينبغي على عَبْدِ الله المؤمن أن يعلم أن توسيع الله -جل شأنه- على بعض الناس في مالٍ أو صحةٍ، أو تجارةٍ أو ولدٍ أو غير ذلك، من أنواع الإنعام ليس دليلاً ولا يدل على رضا الله عنه وإكرامه له، وكذلك ليس التضييق على العبد والتقتير عليه في ماله أو في صحته أو في سائر أحواله دليلا على عدم رضا الله عنه أو إهانته له ؛ فهذا ظن يظنه بعض الناس نفاه الله -جل وعلا- في قول الله -سبحانه وتعالى- : ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ الفجر: ١٥ - ١٦،

قال الله تعالى نافياً هذا الظن ﴿كَلَّا﴾ الفجر: ١٧

أي: ليس الأمر كما يظنون ، وليس الشأن كما يزعمون ؛ فمن وسّع الله عليه في المال والصحة والولد وغير ذلك ، ليس ذلك دليلا على رضا الله عنه وإكرامه له ، وكذلك من ضيق عليه ليس دليلا على إهانة الله -جل وعلا- له ؛ بل كل منهما مبتلى ، هذا ابتلاه الله -سبحانه وتعالى- بالمال والصحة والعافية وأنواع الخيرات، وذاك ابتلاه الله -سبحانه وتعالى- بفقر أو مرض أو نحو ذلك من الشدائد .

والمآب إلى الله عز وجل ؛ ولذلك ختم الله -عز وجل- الآية بقوله ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الأنبياء:٣٥

أي أنكم تبتَلون في هذه الحياة ثم مرجعكم إلى الله عز وجل ؛ ليثيب المحسن بإحسانه، وليعاقب المسيء على إساءته ، فلنتق الله -عزوجل- ولنجاهد أنفسنا في هذه الحياة لنكون من الفائزين في الابتلاء والامتحان ، سواء كان الامتحان نعمةً أو كان الامتحان شدة ، والله وحده الموفق لا شريك له.

علاج الهموم والغموم

إن المؤمن لا تخلو حياته من الهموم والأحزان التي تكدر عليه عيشته، وتنغص عليه لذته، ومع ما في ذلك من تكفير للسيئات، ورفع للدرجات، فإن فيها فوائد أخرى، من أهمها أنها تدفع المؤمن للجوء إلى الله، والانكسار بين يديه، والتضرع إليه، فيحصل بذلك للقلب من الراحة والطمأنينة، واستشعار القرب من الله ما لا يمكن وصفه. وأيضًا فإن هذه المنغصات تجعل المؤمن يعرف حقارة الدنيا، فيزهد فيها، ولا يركن إليها، ويقبل على الآخرة على بصيرة بأنها خير وأبقى، إذ لا هم فيها ولا حزن، كما قال سبحانه:

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ فاطر: ٣٤ -٣٥

فما أعظم هذه الفائدة لمن عرف حكمة الله تعالى فيها! وهذه بعض الأسباب التي تدفع بها الهموم والغموم والأحزان والمصائب لمن أحسن استعمالها.

بعض الأسباب التي تدفع بها الهموم والغموم والأحزان والمصائب:

أولًا: الإيمان والعمل الصالح: قال تعالى:

﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ النحل: ٩٧

وهذا وعد من الله لمن آمن وعمل صالحًا، أن الله يحييه حياة سعيدة، روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب - رضي الله عنه - قال:

قال رسول الله ﷺ : ((عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّه لهُ خيرٌ وليسَ ذلكَ لأحدٍ إلا للمُؤْمنِ إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خيرًا لهُ وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فكانتْ خيرًا لهُ)).

ثانيًا: فرح المسلم بما يحصل له من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، جزاء صبره واحتسابه على ما يصيبه من هموم الدنيا، ومصائبها.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه-: أن النبي ﷺ قال: ((مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّه بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ)).

وفي رواية لمسلم: ((حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إلا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ))، وفي رواية أخرى لمسلم: ((مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّه بِهَا دَرَجَةً ، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً)).

فيعلم المسلم أن ما يصيبه من هموم، وغموم إنما هو تكفير لسيئاته، وتكثير لحسناته، قال أحد السلف: (لولا المصائب لوردنا يوم القيامة مفاليس)، وكان أحدهم يفرح بالبلاء كما يفرح أحدنا بالرخاء.

ثالثًا: معرفة حقيقة الدنيا، وأنها فانية، متاعها قليل، وما فيها من لذة فهي مكدرة، لا تصفو لأحد، إن أضحكت قليلًا، أبكت طويلًا، وإن سرت يسيرًا أحزنت كثيرًا، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١٤٠، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ فاطر: ٥

فيوم لك، ويوم عليك، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه-: أن النبي ﷺ قال: ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)) ، وهي كذلك دار نصب، وأذى، وغم، وهم، ولذلك يستريح المؤمن إذا فارقها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي قتادة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مر عليه بجنازة، فقال: ((مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ)) قَالُوا : يَا رَسُولَ الله مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟

قَالَ : ((الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ الله ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ)).

فهذا المعنى الذي يدركه المؤمن لحقيقة الدنيا، يهون عليه المصائب، والهموم؛ لأنه يعلم أن ذلك من طبيعتها.

رابعًا: أن يجعل العبد الآخرة همه، فإذا جعل العبد الآخرة همه جمع الله شمله وقويت عزيمته، لأن هموم الدنيا وغمومها تشتت النفس وتفرق شملها، روى الترمذي في سننه من حديث أنس ابن مالك -رضي الله عنه-: أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ؛ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ؛ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ)).

خامسًا: الدعاء: فإنه علاج نافع لدفع الهم، والغم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة: ١٨٦، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ طه: ٢٥ ، وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الهم، والحزن. روى البخاري في صحيحه مِن حَدِيثِ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي اللهُ عنه قالَ: كُنتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا، فَكُنْتُ أَسمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ:

((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ)).

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن ابن أبي بكرة -رضي الله عنه-: أن النبيﷺ قال: ((دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ)).

فإذا لهج العبد بهذه الأدعية وغيرها بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده في تحصيل أسباب الإجابة، حقق الله له ما دعا، وعمل له، وانقلب همه فرحًا، وسرورًا.

سادسًا: التوكل على الله، قال تعالى:
﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ الطلاق: ٣
أي: كافيه من كل شيء مما يهمه من أمر الدنيا والآخرة، قال بعض العلماء: (ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام، ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله،

وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم، والغموم، وزالت عنه كثير من الأسقام القلبية والبدنية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه...).

والأسباب كثيرة لمن تأملها، وقد اقتصرنا على الأهم منها، وجماع هذه الأسباب قراءة القرآن بتدبر، فإنه ربيع القلوب، ونور الصدور، وجلاء الأحزان، وذهاب الهموم والغموم، والشفاء لجميع الأمراض البدنية والقلبية، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ فصلت: ٤٤

وقال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الإسراء: ٨٢

فمن قرأ هذا القرآن بتدبر وإقبال، ذهبت عنه الهموم والغموم،

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨

خطر الفتن

امتنَّ الله على عباده بنعمٍ ظاهرةٍ وباطنة، ولا تتمُّ نعمةٌ إلا بالدين، والثبات عليه من التحوُّل أو النقصان من أشق الأمور، قال أنس -رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يُكثِر أن يقول: ((يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ))، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: ((نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ)). رواه الترمذي. ومن دعاء الصالحين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ آل عمران: ٨

والشيطان راصدٌ للإنسان في كل سبيلٍ لإفساد دينه،

قال -عليه الصلاة والسلام-:

((إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ ، فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً)). رواه مسلم.

ضرر الفتن على الدين:

الفتنة هي الابتلاء والاختبار فكل قول أو فعل يضعف الإنسان في دينه أو يصده عنه فهي فتنة، والفتنُ من أعظم المُؤثِّرات على الدين، فلا تعرفُ سنًّا ولا جنسًا ولا بلدًا، وهي تُمحّص القلوبَ وتُظهِرُ ما فيها من صدقٍ أو ريب، فتتعرَّض لكل قلبٍ، فيسقط فيها أقوامٌ وينجو آخرون، قال ﷺ: ((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ)). رواه مسلم.

وهي كثيرةٌ، وصفها النبي ﷺ بقوله: ((بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ)). رواه مسلم.

ولا تدَعُ بيتًا إلا دخلَته، قال -عليه الصلاة والسلام-: « إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ، كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ)). متفق عليه.

وكلما فُتِحت نعمةٌ نزلَت معها فتنة، قال النبي ﷺ: ((ماذا فُتِح الليلة من الخزائن وماذا أُنزِل من الفتن؟!)). متفق عليه.

وإذا بعُد الناس عن زمن النبوة ظهرَت الفتن، قال ﷺ : ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ)). رواه البخاري.

وهي تتوالَى على العبد إلى مماته، وقد تأتي بمُهلِكته وقد تتدرَّج عليه، قال -عليه الصلاة والسلام-: ((إن أمتي هذه جُعِل عافيتُها في أولها، وسيُصيبُ آخرَها بلاءٌ وأمورٌ تُنكِرونها، وتجيءُ فتنةٌ فيُرقِّقُ بعضُها بعضًا، وتجيءُ الفتنةُ فيقول المؤمنُ: هذه مُهلِكَتي، ثم تنكشِفُ وتجيءُ الفتنة، فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحبَّ أن يُزحزَحَ عن النار ويدخل الجنةَ فلتأتِه منيَّتُه وهو يؤمنُ بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يُحبُّ أن يُؤتَى إليه)). رواه مسلم.

وخطَرها كبير، من دنا منها أخذَته، ومن حام حول حِماها أوقعَته، قال النبي ﷺ: ((من تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ)). متفق عليه.

منها ما هو كبير يمُوج كموج البحر، ومنها ما هو دون ذلك، قال النبي ﷺ وهو يعُدُّ الفتن: ((مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا ، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ)). رواه مسلم.

منها ما تُخرِج المرء من الدين، قال ﷺ: ((يُصبِحُ الرجلُ مؤمنًا ويُمسِي كافرًا، أو يُمسِي مؤمنًا ويُصبِح كافرًا، يبيعُ دينَه بعرَض من الدنيا)). رواه مسلم.

قال النووي -رحمه الله-: (وهذا لعِظَم الفتن ينقلِبُ الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب).

أخطرها:

وفتنةُ الشرك أعظمُ من القتل، ومن فتنته أن يُظنَّ أن دعوة الأموات وأصحاب القبور مسموعة، فردَّ الله شبهَتهم بقوله:﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ ﴾
فاطر: ١٣ - ١٤

أو يُظنَّ أن العمل الصالح لا ينقُضه الشركُ ولا يُفسِده، وقد أخبر الله أن العمل الصالح يبطُل إذا قارنَه الشرك به، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ الزمر: ٦٥

وكل عملٍ لم يكن خالصًا لله فإنه لا يُقبَل ولو كثُر، والرياء في الأعمال وعدم الإخلاص فيها لله أعظم من فتنة الدجال، قال -عليه الصلاة والسلام-: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ الدّجَالِ ؟!)). قُلْنَا : بَلَى، فَقَالَ : ((الشِّرْكُ الْخَفِيُّ))، رواه ابن ماجه.

فتنة التعلق بالخلق:

والتوكُّل على الله أحد ركنَي الدين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥، والله سبحانه هو الخالق الرازق القدير، وتفويض الأمر إليه يشرحُ الصدر ويُيسِّر الأمر، ويُحقِّقُ -بإذن الله- المُنى، قال -جل شأنه-: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾

الطلاق: ٣

والاعتماد على الأسباب في طلب الرزق وغيره والتعلُّق بالمخلوقين مع ضعف التوكُّل أو تركه فتنةٌ في الدين، وذلٌّ للنفس، وجلبٌ للأحزان، وداعٍ للهموم.

التخلي عن الدين وقت البلاء:

والإيمانُ يصقُل النفوس ويُهذِّبها ولا يُذبذِبُها، فتشكر ربَّها عند النعماء، وتصبر عند البلاء. ومن الفتن: تركُ الهداية إن نزلت محنةٌ أو أقبلَت دنيا بزُخرفها أو تحليل ما كان يراه حرامًا اتباعًا لهوىً أو طمعًا بدنيا، قال الله -عز وجل-: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ۚ﴾ الحج: ١١

فتنة الخلق بعضهم ببعض:

والخلقُ يُفتَنُ بعضُهم ببعض، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ﴾ الفرقان: ٢٠

وهذا عامٌّ في جميع الخلق، امتحنَ بعضَهم ببعض، فامتُحِن الرسل للمُرسَل إليهم، والمُرسَل إليهم بالرسل، وامتُحِن العلماء بالجهَّال، وامتُحِن الجهَّال بالعلماء، وامتُحِن الأغنياء بالفقراء، والفقراء بالأغنياء.

الفرقة والنزاع:

والأُلفة وجمع الكلمة على الحق من أسس قوة الإسلام وأهله، ونهى الله عن الشتات والافتراق، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ﴾ الروم: ٣١ - ٣٢

ومن أُوليات أعمال النبي ﷺ لما قدِمَ المدينة تأليفُ قلوب الأوس والخزرج والمُؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لنشر الإسلام. ومن الفتن: الفُرقة والنزاع والاختلاف بين المسلمين اتباعًا لهوًى ونحوه، قال بعض العلماء: (والفتنُ التي يقعُ فيها التهاجُر والتباغُض، والتطاعُن والتلاعُن ونحو ذلك هي فتنٌ وإن لم تبلغ السيف).

كثرة القتل:

والله كرَّم الإنسانَ وفضَّلَه وعظَّمَ حرمةَ المسلم ودمَه، وفي آخر الزمان يقلُّ العمل الصالح ويضعُف الإيمانُ في النفوس، فيُستهانُ بحُرمات الله، ومن الفتن: كثرة القتل في الأمة، قال ﷺ: ((وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ)). قالوا: يا رسول الله: وَمَا الْهَرْجُ؟! قال: ((الْقَتْلُ)). متفق عليه.

ولكثرة القتل يُسفكُ الدم من غير سبب، قال ﷺ: ((ليأتينَّ على الناس زمانٌ لا يدري القاتلُ في أي شيءٍ قتَل، ولا يدري المقتول على أي شيءٍ قُتِل)). رواه مسلم.

ومن سلِمَت يدُه عن الاعتداء فليحفَظ لسانَه عن أعراض المسلمين.

فتنة المال:

والمالُ فتنةُ هذه الأمة، كما قال ﷺ: ((إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ)). رواه الترمذي. وكان -عليه الصلاة والسلام- يتعوَّذ من فتنته يقول: ((وأعوذ بك من فتنة الغِنى ومن فتنة الفقر)). متفق عليه.

وخشِيَ ﷺ على أمته كثرةَ المال والمنافسةَ في جمعه، فقال: ((فوالله ما الفقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ, وَلكنّي أَخْشى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُم كما بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا, فَتَهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ)). متفق عليه.

ومن فتنته: جمعُه سواءٌ من حِلٍّ أم من حرام، قال ﷺ: ((يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ ، أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ ؟)). رواه البخاري.ومن فتنته: البخلُ به أو احتقار المساكين أو جعله سببًا للعصيان أو الاستكبار به على الخلق، ونسيانُ أن الله هو المُنعِم عليه أو بيع الدين للحصول عليه، كما قال ﷺ: ((يبيعُ دينَه بعَرَضٍ من الدنيا)). رواه مسلم،والسعيدُ من قنعَ بعطاء الله له وجمعه من حلالٍ، وأيقنَ بأن الله هو المُنعِمُ عليه وحده، فشكر ربَّه وتواضَع للخلق وبذَلَ مالَه ابتغاء مرضات الله.

زهرة الدنيا:

والدنيا تزيَّنت لأهلها، وفتحَت أبوابها في الصناعة والآلة والبناء وغيرها، والمرءُ قد يُفتنُ بما يراه فيها، وينسى أن الله هو الذي وهبَ للإنسان العقلَ، وسخَّر له الأرضَ وما فيها مع كواكب أخرى؛ لتكون عونًا للإنسان على طاعة ربه، وحذَّر أن تكون تلك النعمُ صادَّةً عنه، وإذا استكبَر بما صنعَه وانبهَر بما رآه فالأُمم السابقةُ قد فُتِح لها من القوة والمال والولد ما لم يُفتَح لهذه الأمة، قال سبحانه:﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا ﴾ التوبة: ٦٩

فتنة الأولاد:

والأولاد زينةُ الحياة، وجعلَهم الله فتنةً، كما قال سبحانه:﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾ التغابن: ١٥
ومن فتنتهم: التفريطُ في تنشِئَتهم على الدين أو جمعُ المال من غير حِلّه لهم أو تركُ شيءٍ من أنواع الطاعات أو انتهاكُ محظورٍ من أجلهم.

فتنة الدجال:

والدجَّال ما من نبيٍّ إلا حذَّر أمتَه منه، وهو أعظم إنسانٍ هيئةً وأشدُّه وثاقًا، مجموعةٌ الآن يداهُ إلى عُنقه، وما بين رُكبتيه إلى كعبَيه بالحديد، وإذا أذِنَ الله بخروجه حُلَّ وثاقُه وسعى في الأرض، فيهرُب الناسُ إلى الجبال خوفًا منه، ومن فتنته: ادِّعاءُ الربوبية، فيُكذِّبُه بعضُ الناس، فيأمر السماءَ فتُمطِر، والأرضَ فتُنبِت، ويمرُّ بالخَرِبة فيقول لها: أخرِجي كنوزكِ، فتتبعُه كنوزُها، ويضربُ الرجلَ بالسيف فيقطعه قطعتين، ثم يدعوه فيُقبِل إليه، فإذا رأى ذلك بعضُ الناس قالوا: أنت ربُّنا، فتنةً لهم.

طريق الخلاص من الفتن:

فلا عاصمَ من الفتن إلا ما عصمَ الله، قال سبحانه:﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا ﴾ المائدة: ٤١ ،

١- الدعاء:

والدعاء سلاحُ المؤمن في السرَّاء والضرَّاء، والنبي ﷺ أمرَ صحابتَه بالتعوُّذ من الفتن، قال زيد بن ثابت -رضي الله عنه-: (أقبلَ علينا رسول الله ﷺ بوجهه فقال: ((تَعَوَّذُوا بِالله مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)) ، قَالُوا : نَعُوذُ بِالله مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ). رواه مسلم.

بل وأمر النبيُّ ﷺ بالتعوُّذ منها في كل صلاة، قال ﷺ: ((إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)). رواه مسلم.

٢-البعد عن الفتن:

والبُعد عن الفتن عصمةٌ منها، ولهذا أمر النبي ﷺ بالهرب من الدجَّال لمن سمِعَه، ويعظُم قدرُ العبد بالبُعد عنها، قال ﷺ: ((سَتَكُونُ فِتَنٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي ، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا- أى هرباً منها- فَلْيَعُذْ بِهِ)). متفق عليه.

قال ابن حجر -رحمه الله-: (في الحديث التحذيرُ من الفتنة والحثُّ على اجتناب الدخول فيها، وأن شرَّها يكون بحسب التعلُّق بها).

٣-العلم الشرعي:

والعلم الشرعي حصنٌ مكينٌ يدرأ عن الجوارح أعمال الشهوات، وعن القلب اعتقاد الشُّبهات، قال ﷺ: ((تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ)). رواه الإمام مالك.

٤-المحافظة على الصلاة :

والصلوات الخمس جماعةً في بيوت الله تحفظُ العبدَ من المكاره والشرور، قال -جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾

العنكبوت: ٤٥

٥-الصحبة الصالحة:

والرُّفقة الصالحةُ تُدنِي من الخلق وتُباعِدُ عن الشر، وصُحبة السوء ندامةٌ تُجمِّل القبيحَ وتأزُّ إليه، والحياة معبَرٌ، والموفَّق من صانَه الله من الفتن والمِحَن، ثم لقِيَه وهو راضٍ عنه.

موقف المسلم حال الفتن:

فتنةُ الشُّبهات تُدفَع باليقين، وفتنةُ الشهوات تُدرأ بالصبر، والمسلمُ الحقُّ هو الذي يُصلِح الناسَ يوم فتنتهم ويُبيِّن خطرَها، ويُوصِي بالاعتصام بحبل الله المتين، وشأنُ العبادة من الدعوة إلى الله وغيرها في أوقات الفتن يعظُم أجرُها عند الله، قال ﷺ: ((العبادةُ في الهَرج كهجرةٍ إليَّ)). رواه مسلم.

وعلى المرء أن لا يغترَّ بكثرة الهالكين، وأن لا يستوحِش من قلَّة السالكين، ولا ينظر إلى كثرة من هلَك، وإنما ينظر إلى الناجي كيف نجا لينجو.

المعاصي وعقوباتها

إن مما ابتليت به مجتمعات المسلمين في هذه الأزمان كثرة المعاصي والذنوب، وانتشار المنكرات على اختلاف أنواعها.

وهذه المعاصي لها أضرار على القلوب، كضرر السموم على الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شرور وداء إلا سببه المعاصي والذنوب، فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء فَطَرَدَهُ ولَعْنَهُ وأبْدَلَهُ بالرحمة لعنًا، وبالإيمان كفرًا؟ وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟ وما الذي خسف بقارون وداره وماله؟ إنها المعاصي والذنوب!.

قال تعالى:﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

العنكبوت: ٤٠

وهذه الذنوب منها كبائر ومنها صغائر، وقد دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة، قال تعالى:﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ النساء: ٣١

وقال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ النجم: ٣٢: أي صغائر الذنوب،

روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود: أنه سأل النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا, وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ

ومن الناس من يتساهل في الذنوب والمعاصي، ويقول: ما دمت أؤدِّي أركان الإسلام وفرائضه فالذنوب أمرها سهل، والله غفور رحيم، وهذا الكلام ليس بصحيح، فإن الله غفور رحيم، وشديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره،

قال تعالى:﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ المائدة: ٩٨ وقال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ الحجر: ٤٩ - ٥٠

وقال تعالى محذرًا من معصية نبيه ﷺ:﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣، وقال سبحانه : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ النور: ١٥

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث سهل ابن سعد: أن النبي ﷺ قال:((إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى جَمَعُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ)).

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس - رضي الله عنه - أنه قال: (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ))، قَالَ الْبُخَارِي: يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ. ومعصية واحدة كانت سببًا لهزيمة الصحابة في معركة أحد، عندما أمرهم النَّبِيَّ ﷺ ألا ينزلوا من الجبل، فعصوه ونزلوا، فقتِلَ سبعون، كما جاء في صحيح البخاري.

ومعصية واحدة كانت سببًا في دخول امرأة النار، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: ((دَخلت امْرَأَةٌ النَّارَ في هِرَّةٍ ربطتها، فلم تُطْعِمها، ولم تَدَعْها تأْكُل مِن خَشاشِ الأرض)).

بل إن العبد ليتساهل بالكلمة التي تخرج من فمه، ولا يلقي لها بالًا، تكون سببًا لدخوله النار، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ العَبْدَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيها يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَد مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ)).

ومعصية واحدة أخرجت آدم من الجنة،

قال الشاعر:

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي

درك الجنان بها وفوز العابد

أنسيت أن الله أخرج آدماً

منها إلى الدنيا بذنب واحد

قال الأوزاعي: (لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت).

ومن عقوبات المعاصي - وهي كثيرة، منها:-

أولًا: أنها تورث الذل لصاحبها، فإن العز كل العز بطاعة الله، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ فاطر: ١٠ ،

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ المنافقون: ٨

أي: فليطلبها بطاعة الله ، فإنه لا يجدها إلا في طاعة الله .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٢

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: ((وجُعِلَ الذُّلُ والصّغار على مَنْ خالَف أمري)).

وقال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -: (اللّهُمَّ أعزنا بالطاعة، ولا تذلنا بالمعصية)، وقال الحسن البصري - رحمه الله -: (إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهَملَجَتْ بهم البراذين، إنَّ ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى اللهُ إلا أن يُذِلَّ من عصاه).

وفي دعاء القنوت: ((إِنّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ)). رواه الترمذي، ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه وله من الذل بحسب معصيته، قال النبي ﷺ للأنصار:

((يا معشر الأنصار! ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله؟، قالوا: صدق الله ورسوله)) رواه أحمد.

قال ابن المبارك:

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوب

وقد يورثُ الذّلّ إدمانها

وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوب

وخيرٌ لنفسكَ عصيانها

ثانيًا: أنها تورث الوحشة بين العبد وربه، وبين العبد وبين الناس، ولو اجتمعت للعبد لذات الدنيا كلها لم تذهب تلك الوحشة، قال عبد الله ابن عباس: (إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القبر والقلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضًا في قلوب الخلق).

ويشهد لكلام ابن عباس -رضي الله عنه- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ طه: ١٢٤ - ١٢٥

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ النحل: ٩٧

ثالثاً: أنها إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين،

روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

(إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ- نظف وصفى- ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ:

﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ المطففين: ١٤ .

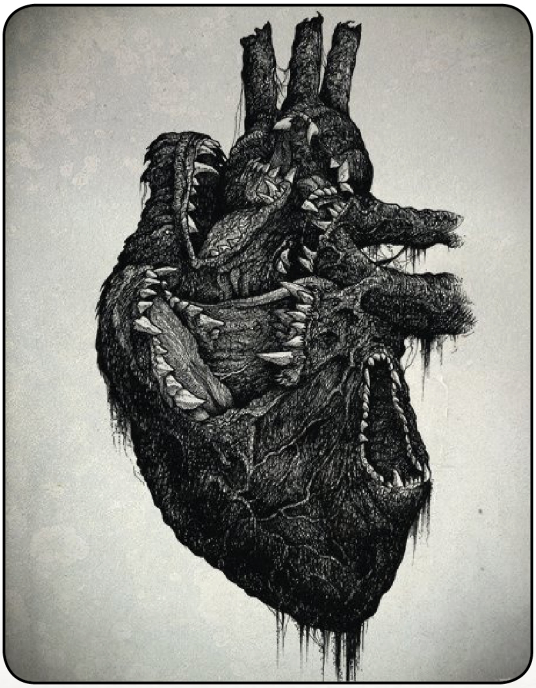

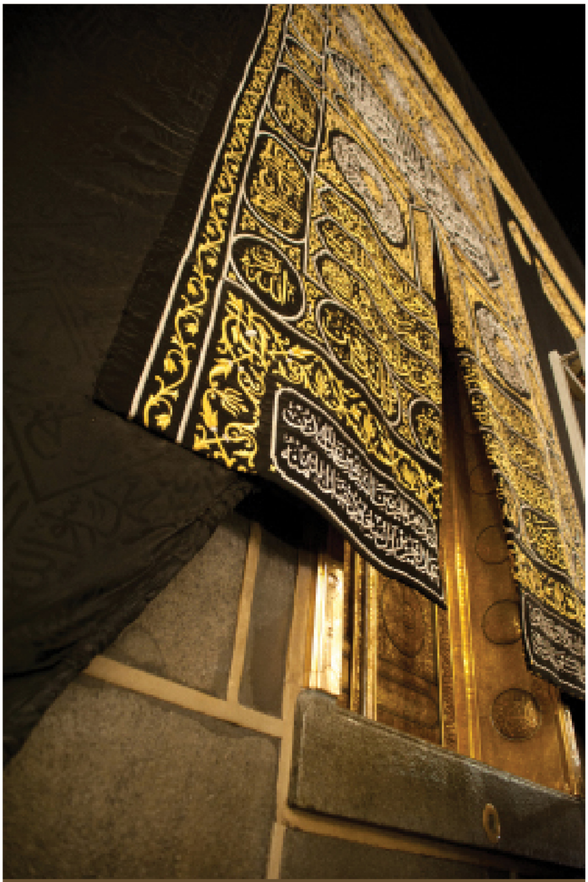

وتوبوا إلى الله

إن من أعظم نعم الله -عز وجل- أن فتح باب التوبة، وجعله فجراً تبدأ معه رحلة العودة بقلوب منكسرة، ودموع منسكبة، وجباه خاضعة.

يقول الله جل وعلا:

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ الحجر: ٤٩

ويقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ البقرة: ٢٢٢

ويقول تعالى حاثاً على التوبة والرجوع والأوبة:

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٣١

وصح عنه ﷺ كما روى ذلك الإمام مسلم أنه قال: ((إِنَّ الله -عَزَّ وَجَلَّ- يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)).

وهذا نبي الرحمة وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول ﷺ: ((يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة)).

رواه مسلم.

وانظر وتأمل أخي الكريم في فضل الله عز وجل على التائب العائد، فقد قال رسول الله ﷺ:

((التَّائبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ)).

رواه ابن ماجة والطبراني.

أخي المسلم، لا يأخذك الهوى وملهيات النفس فإن الرسول ﷺ يقول: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)) قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: ((من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)).

رواه البخاري.

وهذا الحديث بشارة لجميع المسلمين بالجنة، إلا صنفاً منهم لا يريدون دخولها، لا زهداً فيها، ولكن جهلاً بالطريق الموصلة اليها، وتراخياً وتكاسلاً عن دخولها، وتفضيلاً لهذه المتع الدنيوية الزائلة على تلك النعم الخالدة في الجنة.

فجد في التوبة وسارع إليها فليس للعبد مستراح إلا تحت شجرة طوبى، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد فسارع إلى التوبة، وهب من الغفلة، واعلم أن خير أيامك يوم العودة إلى الله -عز وجل-، فاصدق في ذلك السير وليهنئك حديث رسول الله ﷺ : ((لله أَشَدّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ. فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ. وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ. فَأَيِسَ مِنْهَا. فَأَتَى شَجَرَةً. فَاضْطَجَعَ فِي ظِلّهَا. قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ. فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا. ثُمّ قَالَ مِنْ شِدّةِ الْفَرَحِ: اللّهُمّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدّةِ الْفَرَحِ)).

رواه مسلم.

أخي المسلم، قال يحي بن معاذ -رضي الله عنه-: (من أعظم الاغترار عندي: التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله -عز وجل- مع الإفراط. ومن أحب الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف النار انصرف عن السيئات).

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: (إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي، وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل).

وقال -رحمه الله-: (إن المؤمن قوَّام على نفسه يحاسب نفسه لله -عز وجل-، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة.

إن المؤمن يَفجَؤ الشيء بعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك، وإنك لمن حاجتي ولكن والله ما من صلة إليك، هيهات، هيهات، حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا، مالي ولهذا! والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله، إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن، وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا، يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله -عز وجل-، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه).

أيها السائر في طريق الحياة.. جهاد النفس جهاد طويل وطريق محفوف بالمكاره، مذاقه مر وملمسه خشن، فعليك بالسير في ركاب التائبين حتى تحط رحالك في جنات عدن.

وقال الحسن: (ابن آدم.. إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك) فينبغي لكل ذي لب وفطنة أن يحذر عواقب المعاصي، فإنه ليس بين الآدمي وبين الله تعالى قرابة ولا رحم، وإنما هو قائم بالقسط، حاكم بالعدل، وإن كان حلمه يسع الذنوب، وإن شاء أخذ وأخذ باليسير، فالحذر الحذر.

أخي المسلم: كلنا أصحاب ذنوب وخطايا وليس منا من هو معصوم عن الزلل والخطأ، ولكن خيرنا من يسارع إلى التوبة ويبادر إلى العودة: تحثه الخُطى، وتُسرع به الدمعة، ويُعينه أهل الخير رفقاء الدنيا والآخرة، فإن من واجب الأخوة في الله عدم ترك العاصي يستمر في معصيته بل يُحاط بإخوانه ويُذكر ويُنبه، ولا يهمل ويترك فيضل ويشقى. أرأيت إن نزل به مرض أو شأن من أمور الدنيا كيف نقف معه ونعينه؟ فالآخرة أولى وأبقى.

قال بعض العلماء: (الَّذِي يَضُرُّ صَاحِبَهُ: هُوَ مَا لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ تَوْبَةٌ، فَأَمَّا مَا حَصَلَ مِنْهُ -أي من الذنب- تَوْبَةٌ؛ فَقَدْ يَكُونُ صَاحِبُهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ أَفْضَلَ مِنْهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ.).

فالتوبة هي الرجوع عن معصية الله تعالى إلى طاعته

والتوبة النصوح هي التي اجتمع فيها خمسة شروط :

الأول: الإخلاص لله تعالى؛ بأن يقصد بها وجه الله تعالى وثوابه والنجاة من عذابه.

الثاني: الندم على فعل المعصية؛ بحيث يحزن على فعلها ويتمنى أنه لم يفعلها.

الثالث: الإقلاع عن المعصية فوراً؛ فإن كانت في حق الله تعالى: تركها إن كانت في فعل محرم، وبادر بفعلها إن كانت ترك واجب . وإن كانت في حق مخلوق: بادر بالتخلص منها إما بردها إليه أو طلب السماح له وتحليله منها .

الرابع: العزم على أن لا يعود إلى تلك المعصية في المستقبل .

الخامس: أن لا تكون التوبة قبل فوات قبولها؛ إما بحضور الأجل أو بطلوع الشمس من مغربها؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ النساء: ١٨

وقال النبي ﷺ: مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ ، رواه مسلم.

أخي الحبيب:

فِر الى الله بالتوبة، فر من الهوى... فر من المعاصي... فر من الذنوب... فر من الشهوات... فر من الدنيا كلها... وأقبل على الله تائباً راجعاً منيباً... اطرق بابه بالتوبة مهما كثرت ذنوبك، أو تعاظمت، فالله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، فهلمّ أخي الحبيب الى رحمة الله وعفوه قبل أن يفوت الأوان.

معلم الحفظ والتلاوة
Teacher conservation and recitation

الفاتحة من جديد

تطبيق الفاتحة من جديد الذي يُعني بتعليم سورة الفاتحة ؛ حيث يعتمد على أحدث البرامج التقنية التي تعمل على الذكاء الاصطناعي وقدرة التعرف على الصوت البشري أثناء القراءة، حيث يقوم الجهازٍ بالتعرف على الأخطاء التي يقع فيها القراء، ويقوم التطبيق آلياً بتنبيه القارئ وإرشاده إلى طريقة القراءة الصحيحة.

موقع التطبيق:

www.hajigift.com

يتوفر التطبيق بـ ٢٩ لغة

تعلم قراءة القرآن بالطريقة الصحيحة

متاح في
Available on

App Store

إمسح هنا
Scan Here

متاح في
Available on

Google play

إمسح هنا
Scan Here